



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور - خنشلة -



كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

شعبة الأدب العربي

التخصص أدب قديم

فن التـرسل عند ابن عطية

مذكرة مقدمة لقسم الأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة الماستير

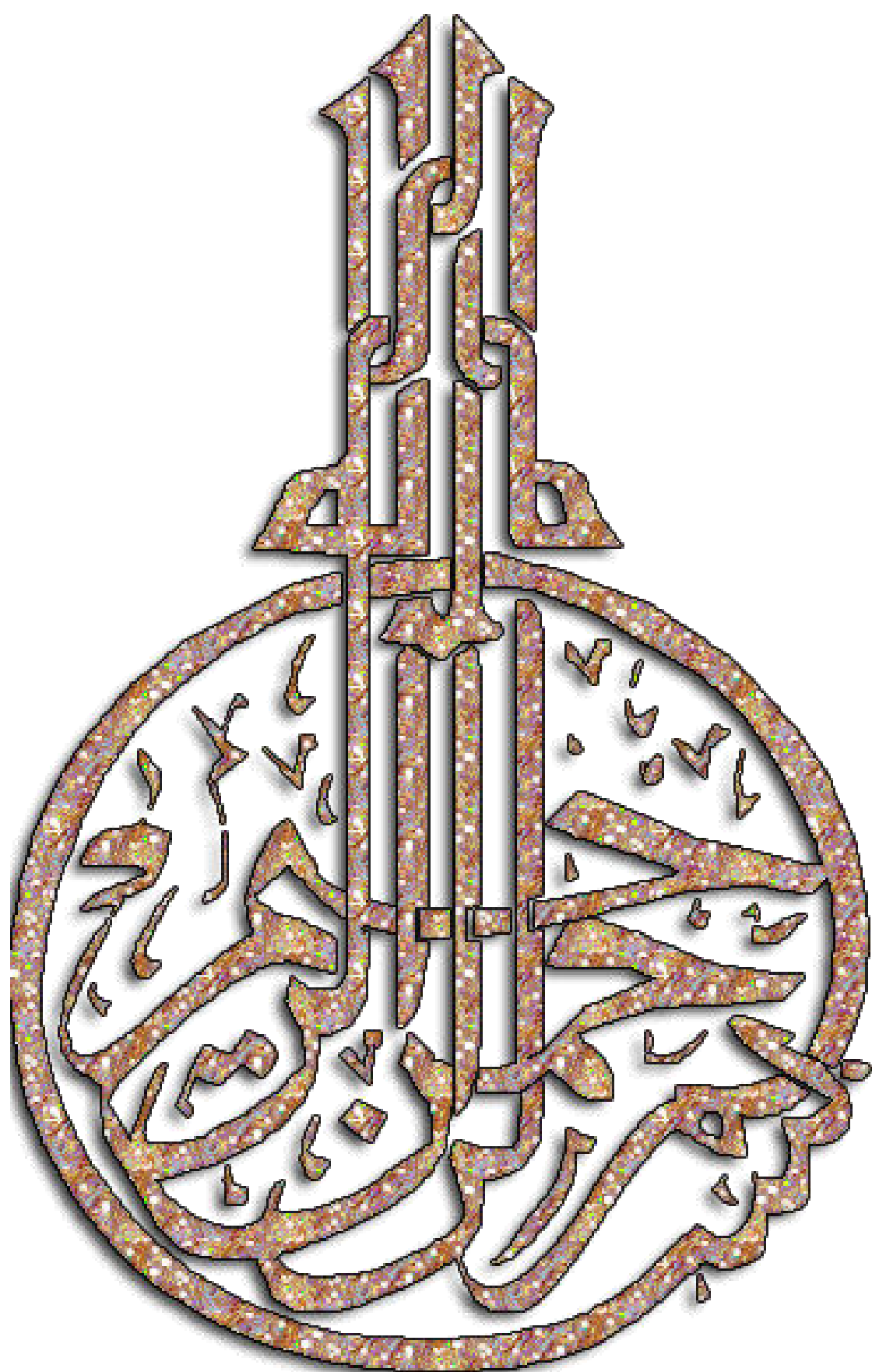
إشراف الأستاذ:
• الوردي غنيمي

إعداد الطالبة:
• سمراء فرطاس

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة العلمية	الإسم واللقب
رئيسا	عباس لغرور - خنشلة -	محاضر ب -	حميد قبايلي
مشرفا ومقررا	عباس لغرور - خنشلة -	محاضر ب -	الوردي غنيمي
مناقشا	عباس لغرور - خنشلة -	محاضر أ -	كمال طاهير

السنة الجامعية: 2017/2016



إهداء

إلى من في قلبي وبين الجفون والدي الكريمين

إلى من قاسمني الرحم والاسم إخوتي الأعزاء

تحية عطرة خاصة إلى أختي الكبيرة "حنان" وزوجها صالح وعصافرها

الصغار ياسر وأحلام

إلى أخي إسماعيل وحسين الذي ساعداني بالكثير

وإلى أختي الغالية والعزيرة "ليلي"

إلى صديقتي ورفيقات دربي: سهلية، مديحة، إلهام، شهرة، يمينه، زينب، جوهرة،

عربية، حسية، حياة، فيروز، ريمة، خولة

إليهم جميعاً أهدي ثمرة جهدي

سمراء

شكر و عرفان و تقدير

في البداية أشكر الله تعالى الذي منحني الإرادة والصبر من أجل إتمام

وإنجاز هذا العمل المتواضع

وأقدم بالشكر الجزيل والامتنان الخالص للأستاذ المحترم "غيمي الوردي" أستاذي المشرف
الذي قدم لي يد المساعدة وأرشدني إلى الطريق المستقيم فألف شكر على صبره وتوجيهي
إلى الصواب

وأشكر أيضا الأساتذة المناقشين الذين قبلوا بصدر رحب مناقشة المذكرة وتحمل قراءتها
فليتقبلوا مني فائق الشكر والاحترام

وأشكر جميع أساتذتي في قسم اللغة العربية وإلى كل من أسدى
إلى عوننا لاستكمال هذا البحث



المقدمة

تعددت فنون النثر العربي وطرائقه في جميع العصور وخاصة العصر الأندلسي ومن بين هذه الفنون: الخطب والرسائل والمقامات والوصايا والمناظرات، وقد لاحظت أن الدارسين لم يولوا النثر الأندلسي العناية اللازمة وخاصة أدب الرسائل في القرن الخامس الهجري، إذ أنهم شغلوا أنفسهم بدراسة الشعر دون النثر وتعتبر الرسائل مصدرا مهما لدراسة الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في الأندلس، وقد حظي هذا الفن في الأندلس بكتاب معظمهم من فرسان السياسة والأدب أمثال ابن حزم، ابن بدر الأصغر، ابن عطية، وهذا الأخير هو موضوع بحثي فالترسل عند ابن عطية من المواضيع المهمة في النثر العربي ومن هنا تبادرت في ذهني عدة تساؤلات كيف ظهر في الترسل في العصر الأندلسي ؟ وما هي أهم أنواعه وخصائصه في ذلك العصر ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعت خطة مسبقة بمقدمة وتتلوها خاتمة تم مدخل بعنوان النثر عند العرب وفصلين فتناولت في الفصل الأول النثر في عصر الموحدين فاستعرضت بعض الفنون النثرية من خطابة ووصايا المقالة والمقامة والقصة ثم تطرقت إلى تعريف الترسل بمفهومه اللغوي والاصطلاحي، وذكر أنواعه ومكانته.

أما الفصل الثاني فقد خصصته بالحديث عن مواضيع الترسل عند ابن عطية فتطرق في فيه إلى الرسائل السياسية والدينية والإخوانية ورسائل العتاب وقد اتبعت في دراستي المنهج الوصفي التحليلي واعتمدت في بحثي هذا على جملة من المصادر والمراجع من

بينها: الأدب الجاهلي لسامي يوسف أبوزيد، ولسان العرب لابن منظور، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري وغيرها، ومن جملة الصعوبات التي واجهتني أثناء جمع المادة ندرتها وعدم تمكّني من الحصول على بعض المراجع الهامة لعدم توفرها في المكتبات الجامعية.

وأخيرا أشكر الله سبحانه وتعالى على إتمام هذا البحث فهذه محاولة قمت بها مخرصة وجادة، فإن كانت نافعة فيها ونعمة وإن كانت الأخرى فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

والله وحده ولي التوفيق

مدخل:

النثر عند العرب

1/ مفهوم النثر

2/ أقوال الكتاب القدامى حول النثر

- ابن خلدون
- قدامة بن جعفر
- ابن وهب
- مسكويه
- الجاحظ
- أبو حيان التوحيدي
- حنا الفاخوري
- الزيات

تمهيد:

شهدت حركة النثر العربية تطوراً كبيراً والفضل راجع إلى اختلاط الثقافات وتنوع الكتاب من عصر لآخر من العصر الأموي وصولاً عصر المماليك، حيث تنوعت فنون النثر وأنواعها من (الخطابة، الوصايا، المقامة، القصة، الترسل) وهذا الفن الأخير هو موضوعي بحثي، قبل الحديث عن النثر في عصر الموحدين توجب علي طرح الإشكال التالي: ماهو النثر في اللغة والإصلاح؟

1/ مفهوم النثر:

كلمة النثر لها معان كثيرة في معاجم اللغة، ورد في لسان العرب "النثر نثر الشيء بيده يرمي به متفرقا مثل: نثر الجوز واللوز والسكر وكذلك نثر الحب إذا بذر"¹، ومنه فإن المعنى اللغوي لنثر هو ذلك الشيء المبعثر الذي لا أهمية له في تفرقة وتبعثره أي لا يقوم على أساس من الإتساع.

أما في الاصطلاح فهو "لغة العقل والتفكير لا يظهر إلا في أمة تبلغ درجة عالية من المدينة و الحضارة خلاف الشعر لغة العاطفة والخيال، إنه يرافق الإنسان من طفولته الاجتماعية"²، أما كارل نالينو يرى أن "العرب في الجاهلية لم يخرجوا في النثر عن قدر الإنشاء القصير والمقطعات"³، أما عن علماء العرب قد أجمعوا على أن "الجاهليين كانوا يجيدون النثر الأدبي وأية ذلك القرءان الكريم نزل بلسان عربي مبين وأنه تحدى العرب في أن يأتوا بمثله أو بعضه ومن ثم كان لهم النثر الذي وصل إلينا القليل منه لصعوبة روايته في حين لقي الشعر انتشاراً أكثر من النثر، وكان أوفر حظاً من العناية والاهتمام وهو

¹ - بن منظور: لسان العرب، دار الحياء التراث العربي، دط، دت، ص 76.

² - سامي يوسف، أبوزيد: الأدب الجاهلي، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، ط1، 2011 م، ص 309.

³ - المرجع نفسه: ص 309.

المقياس إلى النثر أكثر ما وصل إلينا من الأدب الجاهلي¹، ومنه فالنثر من المصطلحات القديمة التي تم التواضع عليها في مجال الدرس الأدبي والنقد وقد حظي باهتمام النقاد والأدباء فشغلوا به إلا أن اهتمامهم به لم يبلغ درجة اهتمام النقاد والأدباء فشغلوا به إلا أن اهتمامهم به لم يبلغ درجة اهتمامهم بالشعر الذي اهتموا به وفصلوا فيه تفصيلا دقيقا عكس ما يتعلق بالنثر.

2/ أقوال الكتاب القدماء حول النثر:

تحدث الكتاب القدماء عن فن النثر ومن بينهم العلامة "ابن خلدون" الذي قدم تعريفا للشعر والنثر معا حيث يقول " وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه على روى واحد وهو القافية، وفي النثر هو الكلام الغير الموزون".²

يرى ابن خلدون أن الشعر هو كلام منظوم ويحتكم إلى وزن وقافية أما المنثور وهو الكلام الغير المقيد بالوزن والقافية، ثم يحدد ما يختص به كل فن من فنون الكلام "...واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه، مثل النسيب المختص بالشعر والحمد والدعاء المختص بالخطب والأمثال ذلك..."³.

يعني في هذه المقولة أن لكل فن من الفنون أغراض فمثلا أغراضه (المدح، النسيب والهجاء، الوصف والغزل) وللنثر أغراضه الحمد والدعاء... وغير ذلك.

ونجد أيضا قدامه بن جعفر يتحدث عن أقسام الكلام عند العرب فيقول "اعلم أن سائر العبارة في كلام العرب إما أن يكون منظوما وإما أن يكون منثورا، والمنظوم هو الشعر والمنثور هو النثر"⁴، المنثور: الخطابة، الترسل، المقالة، الوصايا... إلخ، وقد عرف العرب النثر في دور بداوتهم الأولى على شكل خطب وأمثال وحكايات ثم عرفوا في دور البعثة

¹ - المرجع السابق: ص 309.

² - ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، (بيروت، لبنان)، ط1، 2004 م، ص 566.

³ - المرجع نفسه: ص 567.

⁴ - قدامه بن جعفر، نقد النثر، ت ج، طه حسين، دار الكتب المصرية، دط، دت، ص 96.

والفتوح والرسالة والخطابة والسياسية والدينية، وعرفوا أيضا النثر القراءاني والتاريخي والمقامة النادرة والقصة والحكاية.¹

يقول المفكر والكاتب مسكويه "كذلك النظم والنثر يشتركان في الكلام الذي هو جنس لهما ثم ينفصل النظم عن النثر بفضل الوزن الذي به صار المنظوم منظوما، ولما كان الوزن حلية زائدة وصور فاضلة على النثر صار الشعر أفضل من النثر من جهة الوزن، فإن اعتبرت المعاني كانت مشتركة بين النظم والنثر وليس من هذه الجهة تمييز أحدهما من الآخر".²

إن موقف النقاد القدماء القدامى من النثر كان موقف سلبي حيث يعتبرون أن الشعر أفضل من النثر فهم ينظرون إليه بنظرة جزئية وهذه النظرة أنصرفت على الشكل دون اللب، كان موقف الجاحظ من النثر موقف إيجاب من خلال مقولته ثوم قد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونانية وحولت آداب الفرس، فبعضها زاد حسنا وبعضها ما انتفض شيئا ولو حولت حكمة العرب لم يجدوا في معانيها شيئا لم تذكره عجم في كتبهم التي وضعت لمعاشهم و حكمهم ولبطل ذلك المعجز، وقد نقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة ومن قرن إلى قرن ومن لسان إلى لسان حتى انتهت إلينا وكلنا آخر من ورثها ونظر فيها، فقد صح أن الكتب (أي كتب النثر) أبلغ تقييد المآثر من الشعر"³، أما أبو حيان فيقول "وأحسن الكلام ما رق لفظه ولطف معناه...وقامت صورته بين نظم كأنه نذر ونثر كأنه نظم".⁴

ويقول أيضا "إذا نظر في النظم والنثر على استيعاب أحوالهما وشرائطهما كان أن المنظوم فيه نثر من وجه والمنثور فيه نظم من وجه ولولا أنهما يستهمان هذا النعت لما اختلفا ولا اختلفا"⁵، يرى أبو حيان أن الشعر لا يختص وحده بالموسيقى والخيال بل أن النثر الفني

¹ ينظر: عروة عمر، النثر الفني القديم أبرز فنونه و أعلامه، دار القصة، دط، دت، ص 09.

² رجب سوس: النثر العربي، جمهورية مصر العربية، دط، دت، ص 21.

³ - المرجع نفسه: ص 21.

⁴ - المرجع نفسه: ص 03.

⁵ - المرجع نفسه: ص 03.

يختص بها العنصرين وأنهما قدر مشترك بين الشعر والنثر الفني، ويضيف أيضا متحدثا عن شرف النثر يقول "ومن شرف النثر أيضا أنه مبرأ من التكلف منزّه عن الضرورة غني عن الاعتذار والافتقار والتقديم والتأخير والحذف والتكرير وما هو أكثر من هذا مما هو مدون في كتب القوافي والعروض لأربابها أين استنفذوا غاياتهم فيها"¹، يرى أبو الحيان وغيره أن النثر يجب أن يكون بعيد كل البعد عن التكلف والصنعة اللفظية ويجب أن لا يقع فيه التقديم والتأخير والحذف والتكرير وما هو أكثر.

أما عن الفاخوري يرى أن "ما حوى أفكارا منظمة في عرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الأسلوب، وقد ذهب مؤرخو الأدب في تحديد تاريخ ظهور النثر الفني عند العرب مذاهب متباينة، فقال بعضهم أنه ظهر قبل القرآن بقليل وصاحب ظهور القرآن ثم نما وازدهر أن أقره عبد الحميد الكاتب ابن المقفع، وقال البعض الآخر إن النثر الفني لم يعرف عند العرب إلا مع عبد الحميد وابن المقفع"²،

يرى الفاخوري أن النثر يحوي أفكار منظمة ذو صياغة أنيقة وحيدة السبك ثم حدد بداية ظهور النثر الفني أنه قليل من ظهور القرآن ونما وازدهر في صدر الإسلام، واجمع بعض العلماء إلى أن النثر الفني لم يظهر ولم يعرف عند العرب إلا مع عبد الحميد وابن المقفع وقال أيضا "والذي لا شك فيه أنه لم يؤثر عن الجاهلية نثر فني بالمعنى الدقيق بهذه الكلمة فقد بدأ النثر العربي على منهج الساميين الأقدمين في الكتابة، جاريا على غير نظم وقواعد، متبعا لأساليب الكلام غير مفيد برابط يرسل جملا متقطعة تعبر عن الأفكار في قوالب تشبه الحكم والأمثال أو تشبه الأحكام القاطعة من غير تفصيل ولا تحليل ولا شرح ولا برهان طويل في لفظ وجبر بريء من الصنعة المقصودة، اللهم إلا ما هنالك مما يخرج مخرجا يسهل

¹ - التوحيدي أبو حيان، الامتناع و المؤانسة، مكتبة المشكاة، ط، دت، ص 244.

² - العبد، عبد الحكيم: تاريخ الأدب العربي، مركز اللغات والترجمة، ط1، 2006 م، ص 54.

عنه الحفظ والتناقل، كأن يكون فيه بعض السجع والتزاج وخطابة الجاهليين وإن لم تدون قبل فن من النثر لا يشتق له غبار"¹.

ومنه الفاخوري يرى أن النثر الفني في العصر الجاهلي كان بسيطاً جزئياً لم يحتكم إلى القواعد والأسس الفنية، عبارة عن جمل مقطعة تعبر عن الأفكار للإنسان الجاهلي، تشبه الحكم والأمثال غير معلة ومبرهنة ولا وجود للشرح فيها، وقال "ولما جاء الإسلام بفتوحاته إزداد النثر تسوقاً وعمد إلى الصنعة ولكن في اقتصاد كثير لا بل غلب عليه الطبع وكان يقصد فيه إلى توضيح الفكرة بأيسر عبارة وأقرب طريق وكانت قاعدة البلاغة فيه الإيجاز وكان شديد الصلة بالنثر القديم من هذا القبيل".

ومنه فإن النثر تطور وازدهر لما جاء الإسلام فهو كان يعتمد على الصنعة والطبع، وسيتفق "الزيات" مع الفاخوري في هذا القصور في معنى الإيجاز، ولكنه لن يتجاهل مثله، تطور مع الزمن والفتوح ولا فضل الدين ودور الخلفاء وملكة السلف القولية الكتابية بعدها في جملة أسلوب الساميين، قال "إن النثر في أربعين سنة خطأ في سبيل الكمال بفضل الدين والفتوح وخطوة واسعة فانتقل من السجعات القصيرة والمعاني العامة المجللة إلى الأسلوب المحكم الفقر المطرد السياق المختلف الغرض العميق الأثر، كما ترى في رسائل الإمام علي وخطبة وهو تقدم سريع لم يظهر بمثله الشعر، لم يقل إلى متى، ونضيف أنه تطور في الفئتين بإدخال المستعمرين أنماطاً من كتاباتهم أيضاً"².

والنثر المثالي هو ذلك الفن القولي الذي يستطيع أن يعبر عن حاجات النفس والغفل والعاطفة، وهو كفن قولي يقابل الشعر مقابله تضاد ولكنه ليس تضاداً مطلقاً يصل إلى حد التناقض وإنما تقوم الصلة بينهما على اتحاد موضوعي واختلاف شكلي، أما الاتحاد فيبدو في أن كلا منهما يتناول الموضوعات التي يتناولها صاحبه، مما يتصل بالإنسان والطبيعة فالحماسة والعتاب والمدح والهجاء والغزل والرثاء والوصف والاعتذار فنون للشعر كما هي

¹ - المرجع السابق: ص 85.

² - المرجع نفسه: ص 86.

فنون للنثر وكل منهما يتناول الأشياء بالطريقة الفنية التي تبدو فيها شخصية الأديب، وتكون معرضا لانفعاله وأخيلته وعباراته الخاصة ومزاجه الممتاز¹.

أما العناصر التي تتألف منها فنون النثر الأدبي تتوافر في الشعر أيضا " ومعنى هذا أن طبيعة كل منهما تتصل بالأخرى، وأنهما جميعا غداء العقل والشعور، ومن هنا فإن تعريف الشعر بأنه كلام موزون مقفى ليس له تعريفا شاملا فليس كل كلام موزون مقفى يسمى شعرا، فألفية ابن مالك التي نظمت شعرا في القواعد العربية ليست من الشعر في شيء و نظرية "بوالو" المنظومة حول فن الشعر لا تعد من الشعر أيفيا وأرسطو الذي وضع نظرية الفنون الأدبية فن الشعر لا يعتبر النظم معيارا للتمييز بين الشعر والنثر²،

النثر الحقيقي هو لغة العقل والتفكير والعاطفة فهو يرافق الإنسان من طفولته الاجتماعية وهوة كفن يقابله الشعر فكلا منهما يتحد أن في أشياء ويختلفان في أشياء أخرى فأغراض الشعر مثل: الهجاء والغزل والرثاء والوصف... فهي تتوافر في الشعر كما تتوافر في النثر ومعناه كلا منهما متعلق بالشعور والعقل والعاطفة.

¹ - عروة عمر: النثر الفني القديم أبرز فنونه و أحلامه، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 11.

الفصل الأول:

النثر في عصر الموحدين

أولاً: الخطابة

ثانياً: الوصايا

ثالثاً: المقالة

رابعاً: المقامة

خامساً: القصة

سادساً: الترسل

1/ النثر في عصر الموحدين:

شهدت الحركة النثرية في الأندلس تطورا كبيرا ونضجا عظيما حيث كانوا ينظرون إلى النثر على أنه أسلوب للتعبير وإن التقليد فيه للمشاركة كان أكثر من تقليد الأندلسيين للمشاركة في الشعر، ولقد غلب السجع والاقتباس من القرءان الكريم والشعر والأمثال و غيرها ولزوم ما لا يلزم خاصة غلبة ظاهرة على نثرهم، وقد ظل النثر الأندلسي في جميع فنونه اقل متانة من النثر المشرقي و أقل ابتكارا، أما المثالان العظيمان اللذان كان يحتذيان في النثر فكان الجاحظ وأبا العلاء المعري وأعزم السرقسطي وابن عبد الغفور بتقليد المعري في لزوم ما لا يلزم خاصة ثم في فنون كثيرة أيضا¹.

كان تقليد الأندلسيين في هذا الدور أيضا للرسائل الديوانية وللمقامات التي ابتكرها المشاركة تقليدا كبيرا، وقد شاعت في هذا العصر عدة فنون نثرية من بينها: الخطابة الوصايا، المقامة، المقالة، القصة، وسأتناول كل فن من هذه الفتوى على حدى.²

أولا- الخطابة:

تعد الخطابة فن من الفنون النثرية "لا شك أنه كان للعرب خطابة ممتازة، وكان فيهم سادة مقدمون لهم عارضة وفيهم بيان ولسن، وأنه كان لهم من إشراف عشائهم خطباء يقومون فيهم مقام المؤدبين من الولاة في الأمم ذات النظام الثابت والدولة القائمة، وكان لهذا الفن من الكلام دواع حاضرة تكون في كل جماعة تصممهم رقعة من الأرض، وذلك أن العرب كغيرهم من الأمم كانوا خاضعين لضرورة الاجتماع البشري³، ذلك الاجتماع البشري "الذي يحتم على القبيل عن الناس أن يلقوا بأيديهم إلى واحد منهم يتميز بما يكون له دون سائرهم من فضل الغفل أو بسطه الغني أو قوة البأس أو ما يشبه ذلك مما يميز الناس إلى التسليم له اختيارا من عند أنفسهم واستكفا للعادة شفائهم"⁴، فالخطابة حظيت بمكانة رفيعة عند العرب وتطورت عند ظهور الإسلام تطورا واسعا، حيث اتخذها الرسول صلى الله عليه

¹ - بتصرف: فروج محمد، تاريخ الأدب العربي، ج 5، دار العلم الملايين، دط، دت، ص 62.

² - بتصرف: المرجع نفسه، ص 62.

³ - عطية، محمد هاشم، الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي، مطبعة مصطفى، ط3، دت، ص 69.

⁴ - المرجع نفسه، ص 69.

وسلم أداة للدعوة إلى الدين، وهو في ذلك يخطب في الناس داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك من أجل إيقاضهم ضميرهم ليعبدوا الله الذي خلقهم.

- تعريف الخطابة:

ورد في لسان العرب "خطب الخطيب: الشأن أو الأمر، صفر أو عظم و قبل هو سبب الأمر يقال: ما خطبك أي ما أمرك ويقال هذا خطب جليل وخطب يسير والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال"¹، وقد كفانا صاحب "البرهان" مؤنه البحث والتنقيب بين صفحات المعجمات العربية عن مفهوم الخطابة بقوله "إن الخطابة مأخوذة من خطبت أخطب خطابة كما يقال: كتبت أكتب كتابة، واشتق ذلك من "الخطب" وهو الأمر الجليل لأنه إنما يقام بالخطب في الأمور التي تجل وتعظم، والخطبة اسم المخطوب به وجمعها خطب مثل كسره وكسر"².

أما في الإصطلاح فقد تعد الخطابة من فنون النثر الشفاهي التي عرفها العرب منذ أقدم العصور وتوسلوا بها في عرض قضاياهم في السلم والحرب، طلباً لإستمالة الناس وكسب تأييدهم ومن هنا قيل أن الخطابة فن الإقناع والإمتاع، والأصل في تذوقها أن تسمع لحظة المتلقي³ ومنه فإن فن الخطابة أحد الفنون النثرية، أما وظيفته الرئيسية هو الإقناع لكنه يختلف عن غيره لحضور المتلقي لكن لا بد من توفر مواصفات في النص ن يتم إلقاءه، وأن يكون مؤدي النص له القدرة على تحقيق الإقناع والتأثير في الجمهور المتلقي، وإن كانت الخطابة هي فن إقناع، فيجب إقناع الآخر وذلك بالإعتماد على العقل وقواعده، وكذلك أساليب المنطق وعلم البيان وذلك من أجل أداة والخطابة بشكل سليم وناجح، والخطيب الناجح هو الذي يحمل المستمعين على الصميم والعمل، بتحويله الأفكار إلى أحاسيس، وذلك إذا كان يمتلك التسلسل الذهني للأفكار وبراعة التعبير وقوة الشخصية بمعنى ذلك أنه يجب على الخطيب أن يكون له بهارة الصوت وجمال الهيئة وحسن النبذة وسلامة جهازه الكلامي من العيوب وأن يكون لديه القدرة على الإلقاء بشكل جيد"⁴.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، ج5، دار إحياء التراث العربي، دط، دت، ص 98.

² - قط: مصطفى البشير: مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، ص 90، 89.

³ - أبو زيد، سامي يوسف: الأدب العباسي، النثر، دار المسيرة، ط1، 2011 م، ص 155.

⁴ - بطرس أنطونيوس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة لبنان، دط، 2005 م، ص 81.

عرف الإنسان منذ العصور القديمة فن الخطابة، إذا استدعت معرفتها واستعمالها ظروف حياته الاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها، حيث قسم "أرسطو" الخطبة بالنسبة إلى موضوعاتها إلى ما يأتي¹:

- 1/ **خطابة الأبهة:** وموضوعاتها البحث عن صنعة السامع والجمال.
- 2/ **الخطبة السياسية:** وترمي إلى بيان المفيد و الضار للدولة.
- 3/ **الخطبة القضائية:** أو المدينة وترمي إلى إبراز الأفكار المتصلة بالعدالة.
- 4/ **الخطابة الدينية:** ولم يذكرها أرسطو لأنه لم يدرك المسيحية وهدفها استمالة المستمع إلى كل ما له صلة بالدين.
- 5/ **الخطابة الحربية:** و تتداخل مع الخطابة السياسية.

- أجزاء الخطبة:

لا بد أن تتوافر للخطبة أجزاء وعناصر وهي ثلاثة:

أ/ المقدمة: يبدأ الخطيب خطبته لشد انتباه السامعين ولتهيئتهم للإقبال عليه والسماع، كما قال أرسطو هي أول ما يطرق سمع الناس، فإذا كانت جذابة أنجحت الخطيب وجعلت الناس يقبلون عليه وإقبالهم عليه يشد عزمه ويثير فيه النشاط، وفي جملتها عامل تهئ للسامعين أما مميزات أسلوبها وصوغها البلاغي فأهمها:

1/ أن تكون مشوقة ذات قدرة على شد انتباه السامعين، فالخطبة الجيدة والخطيب الناجح والإلقاء الجيد يجذب السامعين.

2/ وعلى الخطيب أن يبدأ بألفاظ واضحة مفهومة وأفكار قريبة لا تعوز إلى تفكير، وأن يبسط الآراء المعقدة.

3/ لا بد أن تكون شديدة الصلة بموضوع الخطبة أن لا تكون هناك فجوة حين الانتقال إلى الغرض وإذا طالت المقدمة كان طولها توضيحاً للخطبة.²
أما النقطة الرابعة في مميزات المقدمة هي:

¹ - بتصرف: المرجع السابق، ص 82

² - بتصرف: شلبي، عبد الجليل عبده: الخطابة و إعداد الخطيب، ص 44، 45.

4/ من ناحية طول المقدمة أو قصرها يجب أن تكون غير مسرفة في أي من الجانبين وأن يختار الخطيب مقدمة مناسبة في طولها وفكرتها.¹

و للمقدمات موارد كثيرة تستطيع أن تتهل منها ومن أهمها:

1/ **الاستهلال:** بحكمة أو مثل أو بعض أقوال السالفين، وكان العرب يستهلون الخطبة بالدعاء والتحميد والتمجيد، والخطبة التي لم تبدأ بالتحميد يسمونها البتراء ويسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي (الشوهاء)، وقد قيل: خطب أعرابي فلما أعجله بعض الأمر عن التصدير بالتحميد والاستفتاح بالتمجيد قال: أما بعد (بغير ملالة لذكر الله ولا إثارة غيره، فإننا نقول كذا ونسأل كذا، فرارا من أن تكون خطبته بتراء أو شوهاء).²

2/ **الابتداء بعرض القضية وذكر الواقع.**

3/ **عرض القضية المخالفة لرأيه، وذكر أقوال الخصوم أو ذكر القضية بوجهها العام قبل الانتقال إلى التخصيص.**

4/ **استغلال أحوال الخطيب والسامعين وظروف الزمان والمكان والأخذ منها، فإن ما يأتي به لسان الحال امتع في النفوس وأعطف للخواطر.**

5/ **وقد يستغني الخطيب عن المقدمة إذا كان قد سبقه إلى الكلام في الموضوع خطباء أفسحوا له الطريق، أو كان السامعون على درجة من سلامة الإدراك تغني عن التمهيد، أو كان الموضوع بطبيعته معروف للسامعين -قريبا من نفوسهم لا يحتاج إلى كلام كثير.³**

ب/ العرض: يأتي بعد المقدمة بما ينبع من الإثبات، التدليل والتنفيذ وهو الجزء الأساسي من الخطبة. ليعين فيه الخطيب عن غرضه وبراعة السامعين بما يريد أن يتحدث إليهم فيه وبدونه لا يقوم للخطبة بيان، ولا بد لسلامة من أن يدور الكلام فيه حول مسألة واحدة وأن يتناول موضوعا واحدا وأن يأخذ سبيل الترتيب المنطقي فيبسط المسألة وأن يرتبط كل جزء بما قبله.⁴

¹ - بتصرف: المرجع السابق، ص 49.

² - الجاحظ، البيان و التبیین، ج، ت ج1، عبد السلام محمد هارون، مكتبة خفاجي، (القاهرة، مصر)، ط7، 1995 م، ص 6.

³ - المرجع نفسه: ص 6.

⁴ - بتصرف: المرجع نفسه، ص 64، 65.

ج/ الخاتمة: هو أصل ما ينتهي إلى آذان السامعين من كلام الخطيب ويسمى حسن الانتهاء وحسن المقطع، فهو الأثر الباقي في نفوس السامعين بعد الاهتمام وآخر ما يتردد في قلوبهم وبه تتم الفائدة وأن يشير المتكلم في كلامه إلى ما يشعر بانتهاء الغرض المقصود وقد كان العرب يختمون خطبهم بالدعاء أو تمجيد الله وتحميده أو صلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم¹، كما ختم زياد بن أبيه خطبته المشهورة البتراء بقوله "وإذا رأيتموني أنقذ فيكم الأمر فأنقذوه على ادلاله وأيم الله إن لي فيكم لصرعي كثيرة فليحذر كل إمرئ منكم أن يكون من صرعاي.²

- صفات الخطيب:

للخطيب صفات عديدة "أن يكون مستعداً فطرياً و له حضور البديهة حتى وإذا وجد من القوم إعراضاً أو تعرض لموقف محرج أسعفته بديهيته بالخروج من محنته وأزمته وهذه الصفة ترجع إلى حدة ذكاء الخطيب وشدة انتباهه وطول تجربته، طلاقة اللسان، قوة العاطفة وإذا لم يكن الخطيب جياش العاطفة حي المشاعر رقيق القلب، مرهف الإحساس خرجت كلماته متينة لا حياة فيها ولا روح وكان أشبه بالنائحة المستعارة، ولم تتجاوز كلماته الآذان فالعاطفة للخطبة كالروح بالنسبة للجسد لكن ينبغي أن تكون هذه العاطفة موزونة بالعقل الرشيد والرأي الشديد، ليدرك السامعين عند إلقاء خطبته فيترتل في قوله ويستمر في نهجه".³

- الخطابة في الأندلس:

راحت الخطابة وازدهرت في عصر الحروب الصليبية، وليس ذلك غريباً في عصر كله حروب بين المسلمين وبين الصليبيين والتتار، فلهذا تعددت عوامل ذلك الإزدهار وكان التحريض على الجهاد من أهم تلك العوامل وكانت الفتوحات وتحرير البلاد مثلاً حياً للخطابة، فقد ألهم الخطباء آنذاك وكثير من خطبهم ففتح الخطب سنة 583 هـ على يد البطل صلاح الدين أوحى للخطباء بالخطب البليغة الطويلة.⁴

¹ - محفوظ علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الإعتصام، مصر، دط، دت، ص 57، 59.

² - الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 64، 65.

³ - أبو زهرة محمد، الخطابة، أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص 56، 60.

⁴ - الخليل، سحر، مختارات في النثر العربي، دار البداية عمان، ط1، 2011 م، ص114.

ولما كان يوم الجمعة التالية لجمعة، حضر المسلمون إلى الحرم الشريف فغض بالزحاف فإنه من حين تسامح الناس بالفتح في سائر الأطراف وعرفوا إنكسارا للعدو، توافدوا من كل صفع، وجاءوا من كل فج ليفوزوا بالزيارة ويحظوا بالمشاهدة للفتح، فاجتمع من الإسلام عدد عظيم لا يقع عليهم الإحصاء فلما أذن الظهر يوم هذه الجمعة المباركة حضر السلطان بغية الصخرة المقدسة وهو في غاية السرور والفرح، إذ جعله الله تعالى في هذا الفتح ثانياً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الفاتح الأول وميزه بهذه المنقبة دون سائر الملوك وإماتت حراس المسك وصخوته بالخلائق واستعبرنا العيون من شدة الفرح ومنها أول خطبة الجمعة في المسجد الأقصى بعد تحرير على يد صلاح الدين القدس في اليوم الثامن بعد الفتح 4 شعبان 583 هـ الموافق لـ 10 أكتوبر 1187 م.¹

الوصايا:

تعريف الوصايا:

أ / لغة: وصي: أوصى الرجل ووصاه، عهد إليه: قال رؤية :

وصاني العجاج فيما وصني

أراد فيما وصاني فحذف اللام للقافية. وأوصيت له بشيء وأوصيت إليه إذا جعلته وصيك وأوصيته ووصيته إيحاء وتوصية بمعنى وتواصى القوم أي أوصى بعضهم بعضاً وفي الحديث: << استوصوا بالنساء خير، فإنهن عنكم عنوان >>، والاسم الوصاة والوصاية والوصاية والوصية أيضاً، ما أوصيت به، والوصي: الذي يوصي والذي يوصى له، وهو من الأضداد.

¹ - بتصرف: الخليل، سحر: مختارات النثر العربي، دار الداية (عمان)، ط1، 2011م، ص 114.

ابن سيده: الوصي الموصي والموصى، والأنثى وصي، وجمعهما أوصياء. ومن العرب من لا يثني الوصي ولا يجمعه.

الليث : الوصاة كالوصية، وأنشد:

ألا من مبلغ عني يزيدا وصاة من أخي ثقة ودود¹

ورد مصطلح الوصية في القرآن الكريم لقوله تعالى: "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين"²

وقوله تعالى أيضا: "وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون"³. والوصية هنا عهد من الله عز وجل على المؤمنين أن يوفوه ويقوموا به وهو من عموم ما كلفوا به ومن الفرائض.

ومنه قوله تعالى أيضا: "شرع الله لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"⁴

وقوله تعالى: "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا"⁵

ومنه فالوصية من الوصل والإتصال ويتضمن هذا الإتصال المعنيين المادي والمعنوي فالوصية تضمن إتصال السلوك السليم والرأي السديد عن طريق نقله للأجيال وعليه فالوصية تلتبس بالنصح والإرشاد والحكمة.⁶

¹ - ابن منظور أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، الجزء الخامس عشر، دار صادر، بيروت، ص 227.

² - سورة النساء. الآية 11

³ - سورة الأنعام. الآية 152

⁴ - سورة الشورى. الآية 13

⁵ - سورة الاحقاف. الآية 15

⁶ - عزام، حذيفة عبد الله، الوصاية في الأدب الأندلسي، رسالة للحصول على درجة الماجستير، كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية، 2007، ص 6، 7.

تاريخ الوصية :

إن تاريخ العصر الجاهلي وما قبله يثبت وجود محاولات مبكرة للوصايا. وهو أمر طبيعي، فالوصية حاجة اجتماعية وإنسانية عامة. فالإنسان بطبعه كائن اجتماعي يعيش ضمن مجتمع يرتبط مع أفرادهِ بعلاقات مختلفة. وهذه العلاقات تتضمنها أنواع مختلفة من العواطف الإنسانية وهو بذلك يسعى إلى إنقاذ أولئك المقربين من مخاطر الوقوع في شرك الحياة وذلك من أجل أن يختاروا لأنفسهم طريقاً صحيحاً وسليماً¹. فقد أوصى الأنبياء والمرسلون في الكتب السماوية ناقلين عن الله جلّ وعلا كثيراً من الوصايا، وقد تناقل الكهنة والرهبان والرجال والنساء تلك الوصايا عبر الأجيال. وقد احتفظت أمهات مصادر التراث العربي بكثير من تلك الوصايا، بل إن القرآن الكريم صرح ببعضها، ومن تلك الوصايا في محكم التنزيل على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يوصي أباه قائلاً : "يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً"²

ومما لاشك فيه أن عرب الجاهلية عرفوا الكتب السماوية السابقة، وتناقلوا مضامينها ثم إن الشعوب والحضارات كانت تحتفل بالحكمة والحكماء وأصحاب الرأي والكهنة والسحرة والمنجمين، فكانوا يلجئون إليهم إن استعصى عليهم أمرٌ، وأولئك النفر كانوا يقدمون النصائح والوصايا للناس³.

وإذا كانت الوصايا في العصر الجاهلي قد تبوأَت منزلة مرموقة، فإنها قد بلغت أوجها وقفزت إلى الصدارة ببزوغ فجر الإسلام، فقد بلغت الوصايا في بداية عصر الإسلام ذروتها، وتأثرت بمفاهيم الدين الإسلامي الحنيف. حيث تغيرت حياة العرب بمبعث البشير النذير والسراج المنير. إذ غدا القرآن الكريم المثل الأعلى في الوصايا التي تضمن صلاح الدنيا

¹ - عزام. حذيفة عبد الله، الوصايا في الأدب الأندلسي، ص 09.

² - سورة مريم ، آية 44.

³ - المرجع السابق، ص 10.

والآخرة. فالعصر الإسلامي الجديد حافل بالوصايا على اختلاف أشكالها وألوانها وأصنافها، جاء بعضها ليؤكد ما جاء في الشرائع السابقة. وجاء بعضها الآخر خطابا خاصا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولم تقتصر الوصايا على القرآن الكريم¹.

وحده بل في كلام الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم كثير من الوصايا الخاصة والعامّة الصادرة عن الوحي الإلهي على لسان من لا ينطق عن الهوى وقد عجت فيها كتب السيرة النبوية فمنها ما جاء لعموم المسلمين وجمهور الصحابة، ورسله إلى الملوك والأقوام الأخرى وأوصى قادة السرايا، وأوصى المسلمين منظما بذلك شؤون حياتهم².

وللخلفاء الراشدين وصاياهم أيضا فهذا أبو بكر رضي الله عنه أوصى الصحابة في غير موضع موضعاً لهم سبل الرشاد ومن ذلك كتابه إلى الأمراء في حروب الردة. وقد أوصى سائر الخلفاء الراشدين من بعدهم، وسار على نهجهم الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً. وقد أوصى الشعراء في صدر الإسلام جمهور المتلقين جملة من الوصايا التي صدرت فيها عن الدين الجديد. وقد سار خلفاء بني أمية على نهج الخلفاء الراشدين في الوصايا، فنجد عبد الملك بن مروان أوصى عمر بن عبد العزيز وكثير من خلفاء بني أمية وأمراءهم وولاتهم. وقد أوصى الأدباء والكتاب والشعراء وحملوا للناس خبراتهم في أمور الحياة، وقد سار الولاة والخلفاء والكتاب والأدباء في العصر العباسي على هذا النحو³.

وقد تناقل الأدباء وصايا الأمم السابقة والحضارات الأخرى فكانت وصاياهم حاضرة في متناول المجتمع العربي. كما قدم كثير من الوعاظ والنسّاك والأدباء جملة من الوصايا والمواعظ بين يدي الخلفاء والعامّة والأهل والأصحاب. وقد دارت تلك الوصايا حول مضامين دينية وتعليمية وسياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية عامة تناولت مختلف جوانب

¹ - المرجع السابق، ص 15.

² - عزام . حذيفة عبد الله ، الوصايا في الأدب الأندلسي، ص 16

³ - ينظر : المرجع نفسه ، ص 18 . 19.

الحياة بالتحليل وقدمت خلاصة التجارب الإنسانية في علاجها وكيفية التعامل معها. وقد تبادل الخلفاء والأمراء مع جمهور المثقفين والسياسيين الوصايا والنصائح.¹

المقالة:

تعريف المقالة:

أ / لغة: يستعمل لفظ مقال ومقالة للدلالة على شيء واحد. وما يكتب ضمن شروط وصفات.

ولفظ مقال أقدم من لفظة (مقالة) وقد استعمل العرب في القرن الرابع صيغة اسم المفعول مقولة للدلالة على المقالات الفلسفية وخير شاهد على ذلك كتاب الفهرست لابن النديم.

ب / اصطلاحاً: قطعة نثرية محددة الطول والموضوع وتكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب. وهي طويلة تقع على الأقل في خمس صفحات كما أنها محدودة الموضوع فيعرض الكاتب فيها وجهة نظره هو، وبذلك تظهر شخصيته بوضوح. وموضوعها يقوم على ملاحظة الكاتب لحركة الناس والأشياء فهي قضية (ذاتية موضوعية) كما أنها تكتب بطريقة عفوية نابغة من القلب النابض الحار لتؤثر في نفس المتلقي دون تصنع أو إكراه ولها صفة التأثير على القارئ.²

ومنه فإن المقالة قطعة نثرية قصيرة أو متوسطة، موحدة الفكرة، تعالج بعض القضايا الخاصة أو العامة معالجة سريعة تستوفي انطباعاً ذاتياً أو رأياً خاصاً. ويبرز فيها العنصر الذاتي بروزا غالباً. ويحكمها منطق البحث ومنهجه الذي يقوم على بناء الحقائق على مقدماتها ويخلص إلى نتائجها.

¹ - المرجع السابق، ص 22

² - زايد فهد خليل، الكتابة فنونها وأفنانها، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، د ط، 2009 م، ص 85.

تعريف النقاد العرب لفن المقالة:

- يقول الدكتور محمد يوسف نجم: "المقالة قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلف. وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب".

ويقول الدكتور محمد عوض: "إن المقالة الأدبية تشعرك وأنت تطالعها أن الكاتب جالس معك يتحدث إليك... وأنه ماثل أمامك في كل فكرة وكل عبارة"¹

أنواع المقالة :

للمقالة أنواع عدة فمن حيث الموضوع ثمة مقالات اجتماعية ومقالات دينية ومقالات سياسية وأخرى علمية وأدبية وفكرية واقتصادية. ومن حيث علاقتها بالمؤلف (الكاتب) ثمة مقالات ذاتية وهي التي تشبه في طريقة تناولها للموضوع طريقة السيرة الذاتية ومن أمثلة المقالة الذاتية : مقالات مي زيادة، وجبران خليل جبران، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وقاسم أمين، وبعض مقالات طه حسين وما كتب في الرحلات ووصفها. ومنه فإن للمقالة عدة أنواع ؛ فهناك مقالات من حيث الموضوع ومقالات من حيث علاقتها بالمؤلف فالأولى تتمثل في المقالات الاجتماعية والمقالات الدينية والمقالات السياسية والمقالات الاقتصادية وغيرها أما الثانية فتتمثل في المقالات الذاتية مثل مقالات مي زيادة وجبران خليل جبران... إلخ².

بناء المقالة:

تقوم المقالة على ثلاثة عناصر رئيسية هي: المضمون الفكري (أو المادة)، الخطة التي ترسم هيكل العمل والأسلوب الذي يختاره الكاتب أي العبارة اللفظية.

¹ - رجب ، سوسن، النثر العربي، جمهورية مصر العربية، دط، دت، ص 27 .

² - الصمادي، إبراهيم خليل امتان، فن الكتابة والتعبير، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2008 م ، ص 135.

- المادة: وبمعنى آخر العنصر الفكري، فهو الرأي الذي يبديه الكاتب أو المفكر ويكون عادة معبراً عن موقف أو هو عرض مسألة فكرية ما ترمي إلى التعليم أو الإقناع أو تحمل نظرية جديدة يريد كاتب المقال أن يروجها في ثقافة المجتمع. ويجب أن تكون الأفكار المعروضة صحيحة واضحة حتى تحقق الغاية المرجوة منها.
- الخطة: فهي تقسيم الأفكار وتواصلها في نسق تسلسلي بحيث تكون كل فكرة نتيجة لما قبلها ومقدمة لما بعدها، حتى تنتهي الأفكار جميعاً إلى الغاية المقصودة من المقالة والخطة من حيث التقسيم و الترتيب تتمثل في المقدمة والعرض والخاتمة .
- أ / المقدمة: فهي تتألف من استهلال يبسط الفكرة الإجمالية ويمهّد للدخول في قضية موضوع البحث، وهي مقدمة واضحة بسيطة ومثيرة في الوقت نفسه.
- ب / العرض: هو محور البحث وفيه يجب ذكر النقاط الرئيسية التي يود الكاتب عرضها¹.
- ج / الخاتمة: وهي مهمة بالنسبة للمقالة، فهي النقطة المضيئة الأكثر تألقاً بين الكاتب والقارئ فلا بد أن تكون واضحة النتائج، ولا بد أن تتوفر فيها وسائل اليقين ليتم الإقناع.
- أسلوب المقالة: فيجب أن يكون واضح، أن يتسم بسلامة اللغة، جمال الألفاظ وسهولة التراكيب².

أسباب تطور فن المقال وتخلصه من السجع والتكلف اللفظي:

إن فن المقال تطور وتخلص من السجع والتكلف اللفظي لأسباب كثيرة منها: تأثرهم بالغرب وكذلك نمو الوعي وظهور الأحزاب السياسية والتيارات الفكرية التي أحدثتها أحداث بارزة مثل مجيء جمال الدين الأفغاني، والاحتلال البريطاني، وحركة تأسيس المدارس والكلية ونشاط الحركة الاستعمارية في أقطار المغرب العربي. ونضيف أيضاً سبب مهم وهو ظهور المدرسة الصحفية الحديثة، وبرزت صحف كثيرة مثل: المؤيد واللواء والجريدة

¹ - بتصرف ، قاسم ، رياض زكي ، تقنيات التعبير العربي ، دار المعرفة، بيروت-لبنان ، ط1، 2000 م ، ص 182 .

² - المرجع نفسه . ص 183.

وغيرها ولهذا ساهمت هذه المدارس في تطوير وازدهار فن المقالة وأصبحت المقالة أكثر قدرة على مخاطبة الواقع والاهتمام بقضاياها عما كانت في السابق¹.

خصائص المقالة الحديثة:

للمقالة الحديثة خصائص كثيرة نذكر من بينها: الإيجاز والبعد عن التفاصيل المملة وكذلك التعبير عن الرأي الشخصي بالإضافة إلى ذلك أنه يجب إمتاع القارئ. فإذا لم تلتزم بهذه الخاصية أصبحت لون آخر من ألوان الأدب وليس فن المقالة وكذلك حسن الاستهلال بمعنى ذلك أنه على الكاتب أن يكون أسلوبه مميزا في البداية، ويجب أيضا التعبير عن وجهة النظر الشخصية، وهذه الميزة هي التي تميزها عن باقي ضروب الكتابات النثرية².

ومما سبق أستنتج أن المقالة من الفنون النثرية المهمة في الأدب العربي.

القصة:

تعريف القصة:

أ / لغة: "قصص: قص الشعر والصوف والظفر يقصه قصا وقصصه وقصاه على التحويل قطعه. وقصاصة الشعر: ما قص منه هذه عن اللحياني. وطائر مقصوص الجناح، وقصاص الشعر بالضم، وقصاصه وقصاصه، والضم أعلى: نهاية منبته ومنقطعه على الرأس في وسطه. وقيل: قصاص الشعر حد القفا وقيل: هو حيث تنتهي نبتته من مقدمة ومؤخرة، وقيل: قصاص الشعر نهاية منبته من مقدم الرأس. ويقال: هو ما استدار به كله من خلف وأمام وما حواليه.

قال عدي بن زيد يصف فرسا:

له قصة فشغت حاجبي هـ والعين تبصر ما في الظلم

¹ - بتصرف: رجب، سوسن، النثر العربي، جمهورية مصر العربية، د ط، دت، ص 30.

² - المرجع نفسه، ص 32

وفي حديث صفوان بن محرز: " أنه كان إذا قرأ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون بكى حتى نقول: قد اندق قصص زيوره وهو منبت شعره على صدره. ويقال له: القصص والقصص وفي حديث المبعث: أتاني آت فقد من قصي إلى شعرتي. القص والقصص؛ عظم الصدر المغرور فيه شراسيف الأضلاع في وسطه. وفي حديث عطاء: كره أن تذبح الشاة من قصها، والقصة: الخبر هو القصص، وقص على خبره يقصه قصا وقصصا؛ أورده. والقصص: الخبر المقصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقصص بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب ¹.

ب / اصطلاحاً: عمل أدبي يصور حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة يتعمق القاص في تفصيلها والنظر إليها من جوانب متعددة ليكسبها قيمة إنسانية خاصة مع الارتباط بزمانها ومكانها وتسلسل الفكرة فيها وعرض ما يتخللها من صراع مادي أو نفسي وما يكتنفها من مصاعب وعقبات على أن ذلك بطريقة مشوقة تنتهي إلى غاية معينة ²

القصة في الأدب الجاهلي:

عرفت العرب في الجاهلية كثير من الفنون وأبرزها فن القصة النابع من بيئتهم والمصور لحياتهم وعقائدهم وبطولاتهم، حيث كانوا شغوفين بالقصص شغفا لا حد له فكانوا أثناء وقت فراغهم، إذا جنَّ الليل اجتمعوا للمسامرة، ولا يبدأ أحدهم في مضرب من مضرب خيامهم بقوله " حدث أو كان " وذلك حتى يجعل الجميع يستمعون إليه. ونجد جميع الحاضرين يتابعون الحديث في لهفة وشوق، وكان القاص يوظف كثير من الخيال في قصصه حتى يملك مكانا في قلوبهم، وحولهم من جو الشفقة إلى جو الصرامة ومن أفق الهزل والضحك إلى أفق الجد الصادق، فإذا بعيونهم تلمع في وجوههم وقلوبهم تخفق من آن لآخر ³.

¹ ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد مكرم، لسان العرب، الجزء الثاني عشر، دار صادر بيروت، ص 121.

² المرجع السابق، سوسن، رجب، ص 31.

³ علي بن محمد، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس، مضامينه وأشكاله، ج 2، دار الغرب الإسلامي، ط1،

القصة في العصر الإسلامي:

ولما أشرق نور الإسلام رُويت أحسن القصص والسبب في ذلك هو القرآن الكريم فهو يوضح جملة الحكايات التي بنيت على أساس من تعاليم الدين الجديد واستمدت بعض عناصرها من قصص التوراة وأساطير اليهود ثم ظهرت " قصص الأنبياء " و"قصة المعراج" ثم تطورت هذه القصص وازدهرت حتى أصبحت في العصر الأموي عملاً رسمياً يعهد به إلى رجال رسميين يتقاضون مرتبات مادية. ونصب الخلفاء قصاصاً يعظون الناس ويقصون عليهم سير الأنبياء والملوك في المساجد. ولعل أول من تمرس بهذا النوع من القصص هو تميم الدرامي¹.

وفي هذا الصدد يقول ابن شهاب: " أول من قصّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم الدرامي استأذن عمر أن يذكر الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولاتيه فأذن له أن يذكر في يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر، فاستأذن تميم عثمان بن عفان رضي الله عنه في ذلك فأذن له أن يذكر يومين في الجمعة، فكان تميم يفعل ذلك، وقيل أن النبي حدث عن تميم حديث الجساسة وهو حديث صحيح. وحديث الجساسة فيما يذكرون أن تميماً حدث أن ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من جذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفنوا إلى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس²

فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب - كثير الشعر - فقالوا ويلك ما أنت ؟ أنا الجساسة، وسميت الجساسة لأنها تتجسس الأخبار فتأتي بها الرجال. ويروى عن تميم هذا وكان نصرانياً فأسلم، أنه كان كثير التهجد وأن روح ابن زنباع زاره مرة فوجده ينقي شعير لفرسه وحوله أهله، فقال له : روح أما كان في هؤلاء ما يكفيك؟ فقال: بلى ولكن

¹ - المرجع السابق ، ص 67 ، 68 .

² - الجبيلي، سجع الحسين قصي - الفنون الأدبية في العصر الأموي ، دار و مكتبة الهلال بيروت ،دار البحار - بيروت ط1 ، 2005 م، ص 463.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من امرئ مسلم ينقي لفرسه شعيرا ثم يعلقه عليه إلا كتب الله له بكل حبة حسنة¹.

أنواع القصة :

- (1) القصة السردية : إذا عنيت القصة بالحادثة وسردها سميت بالقصة السردية والحركة في هذا النوع من القصص عنصر أساسي وهي حركتان فتمثل الأولى في العضوية بحيث تحقق بأحداث القصة ومجرياتها، أما الثانية فهي الذهنية فتحقق في تطور الفكرة العامة واتجاهها نحو هدف القصة.
- (2) قصة الفكرة: إذا كانت العناية منصبة على الفكرة والاهتمام بها واضحا والاهتمام بالتشخيص والسرد أقل فهي (قصة الفكرة) وفي هذا اللون تتصرف الشخصيات وفقا لفكرة الكاتب تبعا لتكوينها الخاص، ويغلب الجانب المنطقي ويقل جانب الحركة.
- (3) القصة الدرامية: تتصرف الشخصيات التصرفات النابعة من الشخصيات ذاتها، فحركاتها حرة مرتبطة بإرادتها لامنوطة بإرادة الكاتب ومشئته.
- (4) القصة القصيرة: تتراوح عدد صفحاتها من 3 . 20 صفحة.
- (5) القصة المتوسطة: تتراوح عدد صفحاتها من 20 . 70 صفحة.
- (6) الأقصوصة: وهي أقصر الأنواع وهي كالخاطرة عبارة عن فكرة خطرت ببال الكاتب فتنسج منها قصة بطريقة فنية تنطبق، تنطبق عليها شروط القصة الفنية.
- (7) الرواية (القصة الطويلة): هي التي تزيد عن 70 صفحة².

¹ - الجبيلي، سجع الحسين قصي، ص 464 .

² - زايد فهد خليل ، الكتابة فنونها وأفنانها ، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع ، د ط ، 2009 م ، ص 109

المقامة:

تعريف المقامة:

أ / لغة : إن الناظر إلى مادة (قوم) في أي معجم من معجمات اللغة العربية يجد ما يلي:

المقام والمقامة: الموضوع الذي تقيم فيه، وقيل الإقامة. والمقام بمعنى الإقامة أو موضع القيام. وأما المقامة (بفتح الميم الأولى) فهي المجلس أو الجماعة من الناس في المجلس وهي بذلك تعني المكان أو من يقيمون في المكان ويجتمعون فيه.

ب / اصطلاحاً: هي فن أدبي من فنون النثر الفني، وهي فن له خصائصه الفنية¹.

يقول الدكتور زكي مبارك: "إنها لقصص قصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية أو وجدانية أو لمحة من لمحات الدعابة".

بينما يراها موسى سليمان: " أحاديث لغوية أدبية يلقبها راوي من الرواة على جماعة من الناس بقالب قصصي يقصد فيه التسلية والتشويق لا تأليف القصة والتحليل" ومنه فإن المقامة فن أدبي ، يعود الفضل في وضع أسسه وترتيبه على نحو يغدو فيه شبيهاً بالقصة إلى دع الزمان الهمداني².

نشأة المقامات:

تعود نشأة المقامات إلى أحاديث ابن دريد الأزدي (المتوفى سنة 321 م) الذي أعرب بأربعين حديثاً من إنشائه الخاص الذي تميز بغريب اللغة والطابع الأدبي ذو التعبير الجميل الفني، وأشار بعض الدارسين إلى أن نشأة المقامات تعود إلى رسائل ابن فارس (المتوفى سنة 395 م) وإذا كان الدارسون قد اختلفوا في النشأة الحقيقية للمقامات، فإنه مما لا شك فيه

¹ - زايد ، فهد خليل و صالح ، محمد ، الكتابة العربية و فنونها ، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2015 م ، ص 96.

² - المرجع نفسه ، ص 97.

أن بديع الزمان الهمذاني (398م) هو الذي أرسى دعائم هذا الفن وابتكره وأصل له قواعده وأسس الفنية. ويسعى الهمذاني في مقاماته إلى تحقيق جملة من الأهداف منها: النقد الاجتماعي والسخرية من بعض العادات الغريبة والأفكار المتطرفة، ومن أهدافها الوعظ، وقد خصص مقامة تشمل على جملة من المواعظ اسمها المقامة الوعظية¹.

خصائص المقامة:

إن المقامة تتميز بخصائص أهمها:

- (1) وحدة الراوي: الراوي في مقامات الأديب واحد، في مقامات الهمذاني هو عيسى بن هشام.
- (2) وحدة البطل: البطل في مقامات الأديب واحد، وهو أبو الفتح الاسكندري في مقامات الهمذاني.
- (3) الأسلوب اللغوي والأدبي: يتقارب أسلوب المقامة بلاغيا وموسيقيا من العبارة الشعرية من حيث الألفاظ الغريبة والمحسنات البديعية من جناس وطباق وتورية.
- (4) تصوير المغامرة الطريفة: إن بطل المقامات يكون في الغالب ذاحظ متعثر على الرغم من علمه وثقافته، ومن هنا يلجأ إلى الكُدية وهي الاحتيال للحصول على احتياجاته من الطعام أو المال².

وللمقامة خصائص فنية وتتمثل في أن المقامات يشيع فيها التألق الشديد في اختيار الألفاظ والعبارات لإبراز المعنى وكذلك يتسم أسلوب المقامات بالصنعة والتكلف ويغلب عليه السجع مع استخدام فنون بديعية أخرى كالجناس والطباق والمقابلة، إضافة إلى ذلك أن معظم المقامات يبدو الحوار جليا فيها وكذلك السرد³.

ومما سبق أستنتج أن المقامة من الفنون النثرية البارزة والمهمة في الأدب العربي ويعود الفضل في وضع أسسها إلى بديع الزمان الهمذاني.

¹ - ينظر ، البكور ، حسن فالح وآخرون ، فن الكتابة وأشكال التعبير ، دار جرير للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2010 م ، ص 181 ، 182.

² - المرجع نفسه، ص 183.

³ - زايد .فهد خليل ، رمان محمد صلاح ، الكتابة العربية وفنونها ، دار الإحصار العلمي للنشر والتوزيع ، ط1، 2015 م ، ص 99.

الترسل:

تمهيد:

يعتبر فن الرسائل شكل من أشكال النثر في الأدب العربي، وبعد الاطلاع على النثر في العصر الجاهلي وُجد أن فن الرسائل لم يكن موجودا في ذلك العصر وذلك ربما بسبب قلة استعمال الكتابة، وصعوبة وسائلها¹، فنجد الدكتور شوقي ضيف يتحدث عن الكتابة في العصر الجاهلي فيقول: "العرب استخدموا الكتابة في العصر الجاهلي لأغراض سياسية وتجارية، لكنهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة تتيح لنا أن نزعّم أنه وجد عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية"² ومنه نستطيع القول أنه لا وجون لفن الرسائل كنوع من الكتابة الفنية في العصر الجاهلي. ولكن وجدت ألوان أخرى كالقصة والمثل والخطبة وفي هذا الصدد يقول شوقي ضيف: "إذا كنا نفتقد الأدلة المادية على وجود رسائل أدبية في العصر الجاهلي فمن المحقق أنه وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهان"³ ويظن أن عدم وجود فن الرسائل في العصر الجاهلي مع وجود ألوان أخرى من النثر كالقصة والمثل والخطابة وسجع الكهان يرجع إلى طبيعة العصر وطبيعة أهله، حيث كان لديهم شغف وحث كبيرين في عرض فروسياتهم وشجاعتهم، في معاركهم ويقضون أوقاتا كبيرة في سمرهم في الليل وحول خيامهم⁴.

¹ - المقداد محمود، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية، دار الفكر - دمشق - سوريا، ط1، 1993 م، ص 209.

² - ضيف شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط1، د ت، ص 19.

³ - ضيف شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط1، د ت، ص 398.

⁴ - ضيف شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 15.

ويقول شوقي ضيف أيضا: "لا نتأخر بإنشاء الكتابة الفنية عند العرب إلى العصر العباسي، عصر التأثر الواضح بالفرس، ولا نتقدم بها إلى العصر الجاهلي بل نضعها في مكانها الصحيح الذي تؤيده المستندات والوثائق وهو العصر الإسلامي¹."

نشأة الرسائل:

مع ظهور الإسلام ونزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والدعوة للكتابة والقراءة حيث قال تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق"² قد أصبح للكتابة اهتمام كبير جدا عند المسلمين فاستخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع مواعيقه وعهوده. فيقول شوقي ضيف: "الكتابة الرسمية الفنية عند العرب لم تأت من الخارج فقد نشأت في حجورهم بحكم حياتهم الإسلامية والسياسية الجديدة ومشاكلهم المختلفة". ومن هنا نستطيع القول أنه من خلال الإطلاع على بعض كتب الأدب العربي لم يوجد فن الرسائل في العصر الجاهلي وإنما نشأ وترعرع في العصر الإسلامي وذلك من أجل كتابة كثير من شؤون المسلمين، ومع ظهور الإسلام وتوطيد أركانه أصبحت أيضا الحاجة ملحة من الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل إرسال رسائل تعميم ونشر تعاليم الدين الحنيف ومبادئه وذلك لمعرفة الإسلام ومبادئه. وعلى هذا الأساس سار الخلفاء الراشدون على طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسائل في عصر الخلفاء تعمل على وضع أساس لمبادئ الدين وتوطيد وجوده والسعي لنشره في البلاد، حيث تميزت الرسائل في عهد الخلفاء بأنها تسعى لوضع وتأسيس مبادئ الدين الإسلامي وإصلاح وتغيير المجتمع³.

ومع بداية العصر الأموي واتساع الفتوحات وتفرق الولاة والعمال في الأقطار أصبحت الدولة في حاجة لتبليغ الولاة والعمال أمورا كثيرة تتعلق بالسياسة أو الإدارة فوجبت الرسائل

¹ - ضيف شوقي، الفن ومذاهبه، ص 104.

² - سورة العلق: الآية 01.

³ - فروخ. عمر: تاريخ الأدب العربي. دار العلم للملايين، ط4، بيروت - لبنان، 1981 م، ص 374.

ووجب ظهور الديوان الذي يساعد على تنظيم الحياة السياسية فانتشرت الدواوين في الأقاليم والأمصار وأصبح لكل وإل كاتب، وتتنوع مهام الدواوين وأغراضها لتواكب الارتقاء والتطور في نظم الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية. ومنه فإن تخصيص ديوان للرسائل في العصر الأموي دليل على ارتقاء الرسائل في هذا العصر¹.

ومع بداية العصر العباسي شهدت الكتابة الفنية نشاطا واسعا، ولاسيما في الرسائل الشخصية التي اهتمت بمظاهر الحياة الاجتماعية والصلات الإنسانية بين أفراد المجتمع، وشرع الكتاب يصنفون رسائل كثيرة من خلال موضوعات متنوعة، كالتهنئة والتعزية والهدايا والاعتذار والشكوى² وغير ذلك. وإن تلك الرسائل المتبادلة بين أفراد المجتمع العباسي تعطي صورة واقعية مظاهر الحياة آنذاك، فالتهنئة لها اثر ايجابي في الأفراح والتعزية ترسخ مفهوم الوقوف بجدية اتجاه أحزان الناس ومحاولة التخفيف عنهم، كما أن الهدية تزيد التحاب، وتؤكد الود، وتتمى العلاقات نحو الأحسن والأفضل وهكذا بقية المظاهر الاجتماعية لها آثار ايجابية، ونتائج مستحبة، ومن هنا شرع الكاتب يصنفون رسائل شتى يتحدثون فيها عن مختلف الموضوعات الاجتماعية³.

وبالانتقال إلى العصر الأندلسي وجد أن الرسائل هي من أهم فنون النثر في العصر الأندلسي وذلك كون كتاب الرسائل من فرسان الشعر الأندلسي، حيث استخدموا مواهبهم الشعرية وذوقهم الأدبي للارتقاء بأساليب تعبيرهم والتقن به وتنوعت الرسائل في شتى المجالات منها الرسائل السلطانية التي كانت تصدر عن ديوان الخليفة موجهة للعمال والقادة والأعداء ورسائل الأمان والمبايعة والبشائر والفتوحات واستعادة البلاد ورسائل الاستغاثة، والمعاهدات، ورسائل الإمام الغزالي إلى أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين رسائل

¹ - ينظر. أبو علي. نبيل. نقد النثر. الهيئة المصرية العامة. د ط. 1933 م. ص 27.

² - بتصرف، الخلوئي خالد، الرسائل النثرية الشخصية في العصر العباسي، مجلة جامعية، دمشق، المجلد 25، العدد 1+2، 2009، ص 37.

³ - المرجع نفسه، ص 38.

تقريع القادة والجند عقب الهزيمة واخذ المدن ،رسائل الأمير للفقهاء والوزراء رسائل الأوامر والوصايا. وقد ازدهر فن الرسائل السياسية في العصر الأيوبي ازدهارا ملحوظا وكان من أشهر كتابها القاضي الفاضل ،ومن تلك الرسائل رسالة أرسلها صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي في بغداد، ورسالة أخرى للقاضي الفاضل يصف الحروب والجيوش وأحداث المعركة وبشارة بفتح القدس كتبها القاضي الفاضل يشير بذلك.¹

تعريف الترسل:

لغة: نجد قدامه ابن جعفر يستعرض المعنى اللغوي للترسل فيقول "والترسل من تراسلن أترسل ترسلا، وأنا مترسل، ولا يقال إلا لمن يكون فعله في الرسائل فقد تكرر وراسل يرسل مراسلة، فهو مراسل، وذلك إذا كان هو ومن يرسله قد اشتركا في المراسلة واصل الاشتقاق في ذلك انه كلام يرسل به من بعد وغاب، فاشتق له اسم الترسل والرسالة من ذلك.

أما صاحب اللسان فيقول في معنى الترسل "انه من الرسل في الأمور والنطق كالتمهل والتثبت والترسل في الكلام التوفر والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديدا"².

ومنه فان لفظ رسالة اشتق من المادة اللغوية "ترسل" التي تدل على معان حسية كثيرة أفاضت أمهات المعاجم العربية القديمة الحديث منها وهي "القطيع من كل شئ" أو القطيع من الإبل والغنم" أو "الإبل ...قطيع بعد قطيع"³

ب/ اصطلاحا: قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشئئة الكاتب وغرضه وأسلوبه وقد يتخللها الشعر إذ رأى لذلك سببا، وقد يكون هذا الشعر من نظمه أو مما يستشهد به من

¹ - بتصرف، النحال، رشا فخري، فن الرسائل في العصر المملوكي، رسالة للحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد، 2013-2014، ص 07-08.

² - توات طاهر محمد، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، ص 69.

³ - القيسي، فايز عبد النبي فلاح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، 1989، ص 17.

شعر غيره، وتكون كتاباتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة ومعان طريفة كما يتخلل هذا العصر آيات من القرآن، أو أحاديث نبوية شريفة، أو أمثال¹.

ومنه فإن الرسائل من الفنون الأدبية القديمة وله صفحات مضيئة في تاريخ العربي

أنواع الترسل:

تعد الرسائل من أهم الفنون النثرية التي عرفت في العصر الأندلسي وما قبله فقد استعملت لفظة الرسالة منذ القدم ولكنها ارتبطت بالنثر أكثر من الشعر، ولقد شهدت الرسائل بأنواعها نهضة جليلة في الأدب الأندلسي، وازدهرت في هذا العصر ازدهارا ملحوظا وقد وصل كتابها منازل رفيعة عند منزلة الوزراء وتنوعت الرسائل في العصر الأندلسي، فكان منها السياسية والاجتماعية والعلمية، وكل نوع من هذه الأنواع ينبثق منه أقسام أخرى²، وسأبدأ الحديث عن الترسل الديواني فتسمى بالرسائل التي تصدر عن ديوان الرسائل والرسائل الديوانية نسبت إليه، وفي هذا يقول عبد العزيز عتيق: "وهي الصادرة عن ديوان الخليفة والأمير يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه، بل إلى أحداثه أحيانا منذرا متواجدا كما ينبئنا الشريف الرضي في وصف رسائل أبي إسحاق الصابي:

وصحائف فيها الأرقام كمن مرهوبة الإصدار والإيراد

حمر على نظر العدو وكأنها بدم بخط بهن لا بمداد

وتتنوع هذه الرسائل فهي تشمل الرسائل التي تكتب عن الخليفة أو الملك أو الوزير

إلى من هو بمثله من أجل التهنئة أو البشارة أو التعزية، أو المعاقبة وما شابه ذلك.³

¹ - النحال، رشا فخري، 2014م، ص 02.

² النحال، رشا فخري، فن الرسائل في العصر المملوكي، دراسة تحليلية، بحث للحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013، 2014 م، ص 51.

³ - عتيق، عبد العزيز، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1972م، ص 223.

ومن أنواع الرسائل الديوانية أيضا: "رسائل الجهاد التي يوجهها الخلفاء إلى قادتهم يكلفونهم فيها بالغزو ويزينون إليهم الجهاد في سبيل الله لإجلاء كلمته، واعتمدت هذه الرسائل على المعاني الدينية فكان الكاتب يضمنها الآيات التي تتحدث عن تكاليف الجهاد باعتباره فريضة شرعها الله لحماية دينه، وإعلاء شأنه كما كانت تتحدث عما ينتظر المجاهدين من ثواب ونعيم في الدارين".¹

الترسل الإخواني:

لا يوجد ما نستطيع أن نسميه اخوانيات الجاهلية، وفي الصدر الأول من الإسلام لم نكد نجد شيئا من الرسائل الإخوانية غير رسالة إخوانية واحدة للنبي صلى الله عليه وسلم يعزي فيها معاذ بن جبل في ابن مات له.²

يقول القلقشندي عن هذا النوع من الترسل "الاخوانيات جمع إخوانية نسبة إلى الإخوان والمراد المكاتب الدائمة بين الأصدقاء..."³

وقد عدد القلقشندي أنواع الرسائل الإخوانية حتى أوصلها إلى سبعة عشر نوعا هي:

"التهناني، والتعازي، والتهادي، والشفاعات، والشوق، والاستزارة، واختطاب المودة وخطبة النساء، والاستعطاف، والاعتذار والشكوى، واستماعة الحوائج والشكر والعتاب والسؤال عن حال المريض، والأخبار والمداعبة".⁴

والرسائل الإخوانية ينشئها الكتاب فقد "...كانوا فيما بينهم متخذين من الرسائل وسيلة لتعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم وما تتعرض له أموالهم النفسية من نوازع متضاربة، فصوروا

¹ - عيسى فوزي سعد، الترسل في القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، 1991 م، ص 18.

² - نصار حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2002م، ص 79.

³ - القلقشندي، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، ج8، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ص 126.

⁴ - المرجع نفسه، ج9، ص 5.

فيها ما يعترهم من شوق وفرح وما يتعرضون له من أحزان وأفراح وما بداخلهم من رضا وغضب واتسعت موضوعات الرسائل الإخوانية، فأصبحت تعكس عواطف الكتاب والصداقة والشوق والبشارة والفرق، والاستعطاف والاعتذار وغير ذلك، وتتافس الكتاب في إظهار براعتهم في هذا اللون من الرسائل، فوفروا لها عناصر المنفعة الفنية من تصوير وصياغة وموسيقى فجمعت بين المتعة الوجدانية والمتعة الفنية، وأحدثت بذلك تأخيرا قويا في نفوس الناس مما جعل بعض الشعراء ينجذبون إليها ويتخذونها وسيلة لتصوير عواطفهم بعد أن أصبح كثير من الناس يفضلون المنثور على المنظوم".¹

الترسل الاجتماعي:

شهد العصر الأندلسي نشاطا واسعا في الرسائل الاجتماعية التي اهتمت بمظاهر الحياة الاجتماعية والصلات الإنسانية بين أفراد المجتمع في شتى المناسبات، ومنها تعددت الرسائل الاجتماعية فكان منها : رسائل المديح، ورسائل التهئة، ورسائل الشكر، ورسائل التعزية، ورسائل العتاب، وهذه الرسائل تعطي صورة واقعية عن العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر، فالتهئة لها أثر إيجابي في الأفراح والتعزية ترسخ مفهوم الوقوف بجدية إزاء أحزان الناس ومحاولة التخفيف عنهم، والهدية تزيد من المحبة بين الناس وتدفع لكتابة رسائل الشكر وتنمي العلاقات الحسنة بين أفراد المجتمع، وبقية الرسائل لها الأثر الإيجابي الكبير في حياة الناس، ومن هنا بدأ الكتاب يكتبون الرسائل ويتفننون بها وشملت جميع مناحي الحياة الاجتماعية.

وقد كانت الرسائل الاجتماعية فضلا عن أسلوبها الفني البديع فقد بدأت بمقدمة فيها حمد الله والصلاة على رسوله الكريم وبدايات بارعة تناسب ألفاظها ومعانيها وموضوع

¹ - عيسى، فوزي سعد، الترسل في القرن الثالث هجري، ص 19.

الرسالة مع وضع عبارات الود والشوق والمديح، ثم عرضها الموضوع ثم يختتمها بكلمة ختامية يدعو فيها للمرسل إليه، وسأبدأ بالحديث عن أنواع تلك الرسائل:

أولاً: رسائل المديح: تعد من أهم الرسائل الاجتماعية في العرض تبعا لموضوعها ولا تكاد تخلو رسالة من المديح، كما يعد هذا النوع من الرسائل الاجتماعية فرصة جيدة للكتاب لإظهار عواطفهم وحبهم وتقديرهم لبعضهم، ويظهر الكتاب فضل الممدوح وكريم خصاله.¹

ثانياً: رسائل التهنية: تبحث هذه الرسائل عن العلاقات بين الأصدقاء والأحباب، ويتجلى فيها التعبير عن معاني المودة والإخاء والامتنان، فالحياة الاجتماعية مليئة بالمناسبات منها : عودة من حج، أو زواج، أو عودة لوظيفة، أو ولادة مولود جديد وغيرها من المنافسات.²

ثالثاً: رسائل الشكر: كانت هذه الرسائل تذبح بعبارات المدح والثناء والشكر وهي ترسل بين الأصدقاء وتكون لشكره على حب أو شكر على تهنية قد أرسلها له أو شكر على مساعدة قد قدمها الصديق لصديقه.³

رابعاً: رسائل التعزية: التعزية من الأغراض التي تناولها الكتاب في رسائلهم وتصور تلك الرسائل المصاب الأليم وماله من وقع عظيم على النفوس وغالباً ما تتضمن معاني الدعوة إلى الصبر والتسليم بقضاء الله وقدره وتسلية أهل الفقيد والتخفيف عنه والدعاء له بالغوص، وتذكير محاسن الميت.⁴

¹ - النحال، رشا فخري، فن الرسائل في العصر المملوكي، ص 79.

² - المرجع نفسه، ص 83.

³ - المرجع نفسه، ص 86.

⁴ - المرجع نفسه، ص 88.

خامسا: رسائل العتاب: إنها رسائل تحتل مكانا مميزا بين أنواع الرسائل الاجتماعية والعتاب لا يكون لمن أعيد الشخص، وفي رسالة العتاب غالبا ألفاظا تدل على المحبة والمودة.¹

مكانة فن الترسل:

ازدهر فن الترسل في العصر الأندلسي ملحوظا، واحتل مكانة مرموقة بين فنون النثر وقد أخذ تلك المكانة بداية من ديوان الإنشاء فكان كتاب الرسائل يعملون في ديوان الإنشاء ويهتمون بالمكتبات والرسائل كما أخذ أهمية ومكانة من كتابها.

فكان من يعمل في ديوان الإنشاء من أفضل كتاب البلاغة حيث يقول المقرئ: "ديوان الإنشاء كان يتولاه إلا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الأجل، ويسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة من بعده وهو الذي يأمر بتنزيلها والخليفة يستبشيره في أكثر الأمور، هذا الأمر لا يصل إليه أحد".

وقد اشترط على كاتب ديوان الإنشاء عدة شروط منها: حسن الخط والثقة في علوم الإسلام ليساعده على الاستشهاد بكلام الله، والعفاف والإخلاص وكتمان السر وتقوى الله وصلاح النية هذه المنزلة التي احتلها كاتب ديوان الإنشاء، كاتب الرسائل تعطي هبة واحتراما وتقديرا، وقد كان للكلمة عند العرب أهمية كبيرة جدا، فالكلمة عندهم تقابل السحر لذا اهتموا باختيار كتاب الرسائل اختيارا حسنا واختاروا أهل الفقه والأدب والعقل الراجح والكياسة لأنهم عدوا عقول الأمة²، حيث يقول عبد الحميد: "لو كان الوحي ينزل على أحد بعد الأنبياء لنزل على كاتب الرسائل".

¹ - النحال، رشا فخري، المرجع السابق، ص 90.

² - النحال، رشا فخري، المرجع السابق، ص 29.

كما أخذت الرسائل أهميتها من الكتابة فكانت الكتابة أشرف مهنة حيث يقول القلقشندي: "الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها وأربح البضائع وأنفعها وأفضل المآثر وأحلاها، ولا سيما كتابة الإنشاء التي منها بمنزلة سلطانها لا يلتفت الملوك إلا غليها".

فهذه المكانة المميزة لكاتب الإنشاء وللكتابة تعطي الرسائل مكانة متميزة ومرموقة وتعطيها إجلالا وتعظيما، من الملاحظ أيضا أن الرسائل تتميز بأرفع مكانة بين فنون النثر في هذا العصر، والمكانة المتميزة التي وصل إليها كتاب الرسائل جعلت الكتابة أفضل حرفة، حيث يقول القلقشندي "لابد للإنسان من حرفة يتعلق بها ومعيشة يتمسك بسببها والكتابة هي الحرفة التي لا يليق بطالب العلم سواها ولا يجوز له العدول عنها إلى ما عداها ولها مكانة مرموقة كونها تعد وثائق يرجع إليها عند الحاجة تحفظ الأحداث".¹

¹ - النحال، رشا فخري، المرجع السابق، ص 30، 31.

الفصل الثاني:

الترسل عند ابن عطية

مواضيع الترسـل عند ابن عطية:

- الرسائل السياسية

- الرسائل الدينية

- الرسائل الإخوانية

- رسائل العتاب

أولاً: الرسائل السياسية

يعد القرن الخامس هجري من أكثر عصور التاريخ الأندلسي تشتتاً واضطراباً، فقد كانت السمة الغالبة عليه الانهيار السياسي، وكثرة الخصومات والجدال بين ملوك الطوائف الذين طمع كل واحد منهم في توسيع أملاكه وامتداد سلطانه على حساب جيرانه، فنشبت بينهم الحروب واشتعلت الفتن فضلاً عن الخطر الصليبي الذي كان يهدد الوجود الإسلامي في الأندلس، ولقد تفاعل الكتاب الأندلسيون مع هذه الأحداث السياسية، إذ أن عدداً من الكتاب كانوا وزراء لملوك الطوائف، فاشتعلت الحروب بين هؤلاء الملوك، فما تكاد تخدم حرب حتى تشتعل أخرى، فكثرت الاشتباكات وتعددت المعارك التي لم تقف عند حد، وكان عدد الضحايا من المسلمين كبيراً.¹

ولقد تزايدت الأطماع على السلطة على مدى الأيام حتى اختلف الأب مع ولده، واختلف الأخ مع أخيه وأضر له العداوة والخصام والحقد والحسد، ومن هذه الخصومات بدأ الكتاب تارة يكتبون رسائل عن هذه المأساة إلى رؤساء الأندلس² وتارة أخرى يهنتون رؤسائهم وملوكهم بالانتصارات المزعومة التي أحرزوها على منافسيهم من رؤساء الإمارات الأندلسية الأخرى، وكانت بعض هذه الرسائل على ألسنة الكتاب أنفسهم وبعضها على ألسنة أمرائهم إلى أمراء آخرين³ وتتصل برسائل الفتن والخصومات أيضاً برسائل الزجر والاستصلاح وتهديد الخارجين على الحكم، وقد كانت تلك الرسائل تعتمد إلى أسلوب الزجر والتهديد أحياناً وإلى أسلوب المصافحة والملاطفة حيناً آخر، وسأفصل في هذه الأنواع لاحقاً.

¹ - القيسي، فايز عبد النبي فلاح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، 1989 م، ص 151.

² - المرجع نفسه، ص 153.

³ - المرجع نفسه، ص 155.

تعريف الرسائل السياسية:

ويقصد بها تلك الرسائل التي كتبت لمعالجة موضوعات سياسية أو فكرية مختلفة، فرضتها طبيعة الأحداث السياسية التي شهدتها الأندلس خلال القرون الثلاثة الأولى للفتح الإسلامي لها، وتعد تلك الرسائل صدى للصراعات السياسية والاضطرابات والفتن الداخلية، إلى جانب الحركات الفكرية التي ظهرت في الأندلس آنذاك، كذلك فقد كانت تلك الرسائل أحيانا صدى للتطور السياسي الذي وصلت إليه الدولة وعلاقاتها بالدول المجاورة، لذا فقد كانت الرسائل السياسية ترسم سياسة الدولة، وتوضح موقفها من تلك الأحداث والتطورات المختلفة، ويظهر أن الرسائل السياسية لم تقتصر على ما كان يصدر عن الدولة وديوان الرسائل فيها، بل كان تشمل أيضا ما كان يصدر عن الحكام والتأثيرين على الدولة في بعض المدن والأقاليم من رسائل تعالج أمورا سياسية مختلفة، وقد تعددت ألوان الرسائل السياسية وتنوعت أغراضها ومن ذلك:

1- رسائل الزجر والاستصلاح وتهديد الخارجين على الحكم: وهي تلك الرسائل التي كانت تصدر عن ديوان الرسائل في حالة شيوع الاضطرابات في ناحية من نواحي الأندلس المختلفة في حالة خروج أو عصيان على الأمير أو الخليفة ومحاولة الاستغلال عن سلطانه، وتعتمد هذه الرسائل إلى أسلوب الزجر والتخويف والتهديد حيناً وإلى أسلوب المصانعة والملاطفة والترغيب حيناً آخر.¹

ومن بواكير رسائل الزجر والتهديد ما كتبه عبد الرحمن الداخل إلى رجل خارج عليه يسمى سليمان الأعرابي، حيث يدعو بالرجوع عن غروره ويهدده بالبطش به إن هو لم يستجيب لدعوته حيث يقول: "أما بعد فدعني من معاريض المقادير والتعسف عن جادة

¹ - القيسي. فايز عبدالنبي فلاح، المرجع السابق، ص 120.

الطريق لتمدن يدا إلى الطاعة، والاعتصام بليل الجماعة، أو لقين بنابها على رصف المعصية إنكمالا بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد".¹

وهناك رسائل سلكت سبل المصانعة والملاطفة والترغيب، تلك الرسالة التي وجهها يوسف الفهري إلى عبد الرحمن وذلك قبل الحرب بينهما، وفي هذه الرسالة يحاول خداعه وإقناعه بالعدول عن الحرب متبعا أسلوب الترغيب والملاطفة: "أما بعد فقد انتهى إلينا نزولك بساحل المنكب، وتأبش من تأبش إليك ونزع نحوك من السراق وأهل الفقر والقدر ونقض الإيمان المؤكدة التي كذبوا الله فيها وكذبونا ؟ ربي جلا وعلا تستعين عليهم، ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ذلك² كيف ورفاهية عيش حتى عظموا ذلك، واستبدلوا بالأمن خوفا وجنحوا إلى النقض والله من ورائهم محيط، فإن كنت تريد المال وسعة الجناب فأنا أولى لك ممن لجأت إليه، أكفئك وأصل رحمك وأنزلك معي إن أردت وبحيث تريد ثم لك عهد الله وذمته في ألا أعذر بك ولا أمكن منك ابن عمي صاحب فريقا ولا غيره".³

ومنه فإن هذه الرسالة هي رسالة سياسية سلكت سبيل الملاطفة والترغيب ويدور فحواها عن الخداع والغدر فيوسف الفهري يحاول إقناع عبد الرحمن بالعدول عن الحرب.

2- رسائل على شكل منشورات أو بيانات سياسية عامة توجه إلى الرغبة: وهي لون من ألوان الرسائل السياسية ومن هذه المنشورات ما وجهه الناصر عمر بن حفصون إلى الناس زمن الأمير منذرين محمد عندما وجد إقبالا من الناس، يذكرهم فيه بالمظالم التي لحقتهم من سوء إدارة بعض ولاية الدولة، مستغلا بذلك العصية القبلية حيث يقول: "ظال ما عنق عليكم

¹ - القيسي، فايز عبد النبي فلاح، ص 121.

² - المرجع نفسه، ص 121.

³ - المرجع نفسه، ص 122.

السلطان، وانتزع أموالكم، وحملكم فوق طاقتكم ،وأذلتكم العرب، واستعبدتكم ،وإنما أريد أن أقوم بئاركم ،وأخرجكم من عبوديتكم".¹

هذه الرسالة أو هذا المنشور الذي وجهه عمر بن حفصون إلى الناس هو عبارة عن نصائح يذكرهم فيها بالمظالم والمعاصي التي لحقتهم وذلك بسبب سوء إدارة بعض ولاية الدولة ومن المنشورات السياسية ما كان يصدر باسم الخليفة لتوضيح موقف الدولة من بعض العقائد الزائفة والأفكار المنحرفة، أو الاتجاهات الفكرية المخالفة للدولة وللتنديد بها والتحذير من إتباعها وذلك لحماية أفكار الرعية منها".²

ونجد أن هناك أغراض مهمة تناولتها الرسائل السياسية وهي العلاقات الخارجية وبعض الأمور والمشكلات السياسية بين الدولة الإسلامية في الأندلس وبعض الإمارات والدول الإسلامية والدول النصرانية في أنحاء مختلفة من أوروبا، وقد كان لنشاط حركة السفارات بين قرطبة وزعماء الشمال الإفريقي ودول أوروبا النصرانية دور كبير في تطور وازدهار هذا اللون من الرسائل السياسية، ومما يؤسف له أن حل هذه الرسائل لم يصل إلينا وقد وصلتنا إشارات كثيرة عن رسائل سياسية متبادلة بين حكام الأندلس وزعماء آخرين في أوروبا وإفريقيا.³

ومنه فإن الرسائل السياسية لها أغراض مهمة وتتمثل في تلك العلاقات الخارجية وبعض المشكلات التي تكون في الأندلس وقد كان للدول أوروبا وزعماء الشمال الإفريقي دور كبير في تطور هذا النوع من الرسائل وللأسف لم تصل إلينا هذه الرسائل ولكن وصلت إلينا إشارات كثيرة عنها.

¹ - القيسي، فايز عبد النبي فالح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص 123.

² - المرجع نفسه، ص 124.

³ - المرجع نفسه، ص 125.

ومن بين الرسائل التي انتهت إلينا تتسم بالشدّة والعنف تارة وتتسم باللين واللفظ تارة أخرى، وهي تتراوح بين الإيجاز والإطناب، ومن تلك الرسائل التي تتسم بالعنف الشديد ما جرى بين الحكم المستنصر والعزیز بالله الفاطمي، فقد كتب العزیز بالله الفاطمي رسالة إلى الحكم المستنصر يهجوّه فيها ويسبّه فرد عليه الحكم المستنصر برسالة عنيفة قال فيها: "وبعد فقد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك والسلام"¹ بمعنى ذلك أن هناك رسائل تتصف باللين واللفظ ورسائل تتصف بالشدّة والعنف وهذه الأخيرة هي تلك الرسائل التي تتسم بالعنف يعني أنها رسالة عنيفة.

أما فيما يخص الرسائل التي تتسم باللفظ واللين فهي تلك الرسالة الجوابية التي بعثها الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى إمبراطور الروم تيوفيلوس، وفي هذه الرسالة يطلب من الأمير عبد الرحمن إقامة علاقات ودية وصداقة قوية بينهما، وكذلك يعبر عن أسفه الشديد لما حل ببني أمية في المشرق من قتل وتشريد وقدرت عليه الأمير عبد الرحمن برسالة مماثلة يذكر له فيها أنه يرغب في مودته وصداقته، وأنه يسعى لذلك إحياء لذكر المودة التي كانت بين أسلافهما.²

ونجد أن هناك رسائل سياسية يتبادلها حكام الأندلس مع حلفائهم من أمراء البربر في العدوّة المغربيّة، ومثال ذلك رسالة بعث بها الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى محمد بن حزر، وقد كانت بداية الرسالة بالحديث عن عزمه على استرداد ملك أجداده الأمويين في المشرق: "وإن أمير المؤمنين لما تفرغ باله وتقضت بالأندلس أشغاله، واكتملت له في أعدائه آماله، ولم يبق عليه فيها بقية يعانيتها ولا حال يستعمل رجاله فيها صرف عزمته وأمال هيمنته إلى ما بين يديه من أسباب المشرق، وطلب ما لم يزل لأوله حقا وله ميزانا ما ينويه ويرجو أن يجري الله أكر ومنه على يديه من إحياء الذين بنظره وإماتة البدع بقويم منهاجه وحماية بين

¹ - القيسي. فايز عبدالنبي فلاح، المرجع السابق، ص 126.

² - المرجع نفسه، ص 126.

الله الحرام المنتكثة حرمة المعظمة...¹، بمعنى ذلك أن الرسائل السياسية مختلفة ومتنوعة فوجد إضافة إلى الرسائل الأخرى رسائل يتبادلها حكام الأندلس مع حلفائهم من أمراء البربر في العدو المغربية.

وبعد حديثه عن عزمه على استرداد ملك أجداده الأمويين في المشرق انتقل للحديث عن عمله على العبور إلى العدو المغربية بجيوش عظيمة العدد وفي ذلك يقول: "وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهب والاستعداد بالرجال والأجناد، وتخير الكماة وانتقاء الرماة وتضعيف العدد وتكثير العدة، وتجريد الآلات وتكميل الأدوات والنظر في إلحاق الحشود بالجنود لميقات معلوم ووقت محدود، وأن يستكثر من جميع المراكب إلى ما قد قام منها ويتوسع في عددها لتجهيز الأساطيل المؤيدة في وقت إجازتها، وعند إمكان البحر لها السير طائفة منها نحو سبته، وأخرى إلى جهة وهران، فيمن تخيره من وجوه قواده وأعلام رجاله وصميم حشمه وأبطاله أهل اليأس والصبر وحسن البلاء وقوة الجلد... لا يهول أحدهم قرن يناوله ولا يثني مقبهم جيش يقابله كالليوث في إقبالها والتنانين في التهامها، قد مارسهم الحروب ومارسوها وساستهم الخطوب وساسوها، فهي أهمهم وهم بنوها..." وفي خاتمة رسالته طلب من محمد بن خزر أن يستعد ويتأهب بقيادة الجيوش الأندلسية فهو نصيره على استرداد ملك أسلافه الأمويين في المشرق ومقدمته في طلبه.²

الرسائل الدينية:

إضافة إلى الرسائل السياسية نجد الرسائل الدينية التي برزت على ساحة الكتابة الفنية فهي اختلفت باختلاف العصور، ويمكن أن نضيف هذه الرسائل إلى ثلاثة أصناف وهي: الرسائل الوعظية، التحميدات والتسيبحات، الرسائل الجدلية، ورسائل الشوق والوجد الديني.

¹ - القيسي، فايز عبد النبي فلاح، ص 128، 129.

² - المرجع نفسه، ص 128.

أولاً: الرسائل الوعظية: هي تلك الرسائل التي يقوم كبار رجال الدين والوعاظ والزهاد بإرسالها إلى الخلفاء والأمراء والأصدقاء أحياناً، وذلك من أجل توجيههم ووعظهم إلى الطريق المستقيم وإلى الوجهة الدينية التي يريدون، ونجد أن هناك صلة وطيدة وشديدة بين الرسائل الدينية والسياسية ويظهر ذلك في رسائل الخلفاء إلى عمالهم، وخاصة رسائل عمر بن عبد العزيز فهو ليس بأمر غريب لأن الخليفة كان الرئيس الديني والرئيس السياسي في نفس الوقت¹، وعندما نبحث عن هذا النوع من الرسائل نجده يختلف عن الأنواع الأخرى، فهو صادر عن عاطفة دينية لا تريد الإفهام أو الإخبار فحسب وإنما تريد دفع المرسل إليه إلى العمل بما في هذه الرسائل من مواعظ، وإذن فبمجرد الإفهام غير مطلوب منها وإنما يجب أن تؤثر في قارئها، وكذلك تدفعه إلى تغيير وجهة نظره في الحياة، ومنه فيجب على الكاتب أي كاتب الرسالة أن يراعي كل هذه الأمور أي يجب أن يدقق في اختيار ألفاظه واختيار جملة، واختيار أسلوبه وذلك حتى تكون رسائله سامية الأسلوب عذبة الألفاظ موسيقية العبارات، زاخرة بالمشاعر.

ونجد أن هذا النوع من الرسائل اهتم به الكثير من الكتاب وذلك باختلاف العصور فمثلاً في العصر الأموي نجد الحسن البصري الذي اهتم كثيراً بهذا الفن (الرسائل) فهو تلك الشخصية الدينية الرائعة التي ظلت مثلاً بارزاً للورع والتقوى طوال القرون السابقة حتى اليوم، والتي كانت المحور الذي دارت عليه قصص دينية جميلة محقة ومبجلة.²

وإذا ما جمعنا هذه الرسائل أمامنا وأخذنا نمنع النظر فيها لنبين خصائصها وجدنا الخاصة الأولى التي تشيع فيها توازن الجمل الموسيقي، ومن الخصائص التي تبين عنايتهم بألفاظهم، ذلك الزواج الذي يفسو في معظم رسائلهم، والذي إن أخلى مكانه فإنما يعليه

¹ - نصار حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2002 م، ص 105.

² - المرجع نفسه، ص 106.

للسجع¹، ومن الخصائص التي تنتشر في رسائلهم أيضا الاقتباس من القرآن الكريم ومثال ذلك في رسالة غيلان بن مسلم الدمشقي لعمر بن عبد العزيز يقول فيها: "وربما نجت الأمة بالإمام وربما هلكت بالإمام فانظر أي الإمامين أنت، فإنه تعالى يقول: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا" فهذا الإمام هدى ومن اتبعه شريكان، وأما الآخر فقد قال تعالى: "وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون" لن تجد داعيا يقول: تعالوا إلى النار، إذن لا يتبعه أحد لكن الدعاة إلى النار هم الدعاة إلى معاصي الله²، هناك أيضا خصائص تنتشر في رسائلهم الاقتباس من الحديث ونجد ذلك واضحا في رسالة أبي الدرداء إلى سلمان الفارسي وهي ترجع إلى صدر الإسلام: يا أخي اغتتم صحتك وفراغك قبل أن ينزل بك من البلاء مالا يستطيع العباد رده، واغتتم دعوة المبتلى، ويا أخي ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن المساجد بيت كل تقى"، وقد ضمن الله عز وجل لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والراحة والجواز على الصراط إلى رضوان الرب عز وجل، ويا أخي ارحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول واتاه رجل يشتكى قساوة قلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتحب أن يلين قلبك : فقال: نعم، قال: أدن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك"، ويا أخي لا تجمع ما لا تستطيع شكره فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله تعالى فيها وهو بين يدي ماله، وماله خلفه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: أمضي فقد أديت الحق الذي عليك"، قال " ويجاء بالذي لم يطع الله فيه وماله بين كتفيه فيعثره ماله ويقول له: "وليك هلا عملت بطاعة الله عز وجل في ؟ فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل"³.

¹ - نصار، حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، ص 107.

² - المرجع نفسه، ص 108.

³ - المرجع نفسه، ص 109، 110.

ويا أخي إني حدثت أنك اشتريت خادماً، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يزال العبد من الله وهو منه، ما لم يخدم فإذا خدم وجب عليه الحساب"، فالرسائل الوعظية إذ لم تقتبس نصها من الأحاديث فإنها تقتبس منها أفكارها بل ألفاظها أحياناً، وذلك أمر طبيعي لا تدهش لحدوثه.¹

بالإضافة إلى هذه الخصائص نجد خصائص أخرى متناثرة في جميع الرسائل مثل الاقتباس من الشعر ونجد ذلك في رسالة الحسن البصري إلى عمر التي يقول فيها: "والدنيا_ وأيم الله يا أمير المؤمنين_ حلم والأخوة يقظة، والمتوسط بينهما الموت، والعباد في أضغاث أحلام وإني قائل لك يا أمير المؤمنين ما قال الحكيم:

فإن تتج منها تتج من عظمة
وإلا فإني لا أخالك ناجياً²

وهناك ظاهرة جديرة بالناية الشديدة لدلالاتها على ارتقاء فن الوعظ في ذلك العصر، الارتقاء البعيد تلك الظاهرة هي تأليف الكتب الوعظية فهذا أبو محمد ابن خير الوراق الإسباني، ينسب إلى وهب بن منبه المؤرخ المعروف المتوفى عام 110 هـ موعظة مدونة، وكتاباً في الحكمة، كما ينسب إليه ابن سعيد الكتاب الأخير ولم يصل إلينا الكتابان كلاهما، ولكننا نظن أن كتاب الحكمة كتاب وعظي أيضاً بمعنى أنه يشتمل على الأقوال السائرة والأمثال والحكم التي تحاول إرشاد الإنسان وتسديد خطاه، وعلى الرغم من ضياع هاذين الكتابين نجد بعض خصائص وهب نجده متأثراً بالإسرائيليات متأثراً كبيراً، فهو قد قرأ الكتب المنزلة وأخذ منها، كما يصرح قائلاً: "وجدت في بعض الكتب أو قرأت في بعض الكتب، وقد ذكرنا أحياناً اسم التوراة صراحة فقال: قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات من قرأ كتاب الله فظن أنه لا يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله، ومن شكا مصيبة فإنما يشكو ربه ومن أسف على ما في يد غيره سخط قضاء به عز وجل، ومن تضعضع لغنى ذهب

¹ - نصار، حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 110.

² - المرجع نفسه، ص 114.

ثلاثاً دينه، وقد سيطرت الإسرائيليات على وهب في كل مكان وزمان ليلقاها على سائليه في الطريق.¹

بالإضافة إلى العصر الأموي نجد العصر الأندلسي، فقد اهتم الكتاب الأندلسيين بهذا الفن فنجدهم قاموا بالمناداة بالابتعاد عن ترف الحياة وملذاتها، وحملوا رسائلهم وسيلة لنقد المجتمع، وللمطالبة بإصلاحه الاجتماعي بالنصح والوعظ والإرشاد.

ومن أشهر هذا اللون من الرسائل تلك الرسالة التي خاطب بها أبو عبد الله بن مسعود ابنه عندما توجه إلى المغرب، وقد بلغه انغماس ابنه في الملذات والملاهي يقول فيها: "فاز يا بني من استشعر البر والتقوى، واستمسك بالعروة الوثقى واعتصم بحبل القناعة والرضى وتحصن بالعفاف وتبلغ بالكفاف، فلم يزاحم الأقدار..."² فهو في هذه الرسالة يحثه على اللجوء إلى الله والتمسك بقواعد الدين وكذلك سلوك سبيل الرشاد والهدى فهو طريق الفوز والنجاح، وبالتالي فهو يرسم صورة معبرة لسلوك الزهاد المتعبدين وبين فضلهم عند الله وتعظيمه لهم، أما بالنسبة لأولئك العصاة الظالمون الذين عدلوا عن سبيل الرشاد وسلخوا طريق الفساد والضلال، وخالفوا أوامر الله تعالى فإنه ينتظرهم عذاب أليم.

وهناك نوع ثاني لرسائل الزهد والوعظ، فقد كان بعض الكتاب يضمنون رسائلهم في التعزية ووصف المحن والمصائب والشكوى ودعوتهم إلى الزهد في الحياة، ويقدمون المواعظ والحكم إلى الناس، فنجد أبو محمد بن عبد البر يقول في هذا النوع: "فالدنيا تحلو لتمر وتصفو لتكدر، وتتظم لتتثر، وتجمع فتفرق، وتسعى لتشرق..." فهو في معظم رسائله اقتحمها بالإشارة إلى تقلب أحوال الدنيا وتغير أوضاعها، فهي قد بينت على التداول والتعاقب بين مساراتها ولهذا فهو يحذر من الاغترار بمظاهرها الكاذبة ويدعو إلى الزهد، واحتقار ملذات الدنيا ومباهجها الزائلة، يقول: "فالأولى الزهد عن زخرفها زبرجها والترك لما

¹ - نصار، حسين نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 116.

² - القيسي، فايز عبد النبي فلاح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس، ص 198.

يحلوا من رضا بها ويخدع من سرابها والإعراض عن وصالها ونصرتها وجمالها فليست تبقى على السيد ولا المسود، ولا على القريب والبعيد....".

وخلاصة الرأي إننا نرى هذه الرسائل الوعظية تجيش بالعاطفة الثائرة التي تشوق كتابها إلى العناية بأسلوبها، فيخرج مختار الألفاظ عذبها متوازن العبارات موسيقياً مزدوجها أو مسجعها، وقد لبس وشيا من القراءان والحديث والشعر والتعابير المكررة وغير ذلك من الحلى التي تكسب الأسلوب جمالا طبيعياً موسيقياً في أغلبه، ولكن هذه الحلى التي فيها الصنعة لم تخرج بأسلوب هذا الرسائل إلى درجة التكلف وإنما هي وحي الحاضر ودفع العاطفة.¹

ثانياً: التحميدات والتسبيحات: يقصد برسائل التحميد والتسبيح تلك الرسائل التي تقوم على تمجيد الله عز وجل وتقديمه، وتعظيم الذات الإلهية وتنزيهها، ولم ينته إلينا من هذا اللون من الرسائل إلا عدد من الفصول التي كتبها ابن برد الأصغر وأوردها ابن بسام تحت عنوان: فصول له في التحميدات" وهذا اللون من الرسائل يعالج عدداً من الأمور التي تتعلق بقوة الله عز وجل وقدرته المطلقة في تصريف شؤون الكون المختلفة، ومن هذه الرسائل ما يشير إلى قدرة الله في التصرف في الكون، ومن سمات هذه القدرة ودلائلها إجلاء الكروب وتقريع الهموم والمصائب وإقالة العثرات وإبدال النعم بعد النقم والراحة بعد الجهد يقول ابن برد: "الحمد لله حالي الكرب السود، وفاتح المبهم المسود الذي أقال العثرات و أдал من الحسرات وأنتاش من البأساء وأعتب بالنعماء وأراح من جهد البلاء²، كما يكشف بعض هذه الرسائل جانباً آخر جوانب قدرة الله تعالى فهو يجمع الشمل بعد التفرق ويوحد الصف بعد التشتت ويمنح القوة والوحدة بعد الضعف والفرقة حيث يقول ابن برد في أحد فصوله: "الحمد لله واصل الحبل بعد انقطاعه وملائم الشمل بعد انصداعه المصبح بنا من ليالي الخطوات

¹ - نصار حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 119.

² - القيسي، فايز عبد النبي فلاح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، ص 193.

والمحي عنا غياهب الكروب والناظم لما انتشر من الألفة... "وخلاصة الرأي إننا نرى أن رسائل التحميدات والتسبيح تقوم على تمجيد الله عز وجل وتقديسه وهي رسائل تتعلق بقدرة الله تعالى في التصرف في الكون.¹

الرسائل الجدلية: بالإضافة إلى الرسائل الدينية الأخرى نجد هناك نوع آخر وهو الرسائل الدينية الجدلية، ونعني بها الرسائل التي تجادل فريقا من الفرق الدينية أو مذهباً خاصاً من المذاهب الإسلامية وهناك نوعين من هذه الرسائل:

الرسالة الأولى: تنسب أولى هذه الرسائل إلى الحسن بن علي بن أبي طالب أرسلها إلى أهل البصرة يناقش فيها مشكلة القدرة قال: "من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر، إن الله لا يطاع استكراها ولا يعصى لغبته، لأنه المليك لما ملكهم والقادر على ما أقدروهم فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما فعلوا وإن عملوا بالمعصية فلو شاء حال بينهم وبين ما فعلوا، فإذا لم يفعلوا فليس هو الذي أجبرهم على ذلك، فلو أجبر الله الخلق على الطاعات لأسقط عنهم الثواب ولو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم لكان عجزاً في القدرة ولكن له فيهم المشيئة التي غيبتها عنهم، فإن عملوا بالطاعات كانت له المنة عليهم وإن عملوا بالمعصية كانت له الحجة عليهم..."²، ونرى في هذه الرسالة أنها تبين وجهة نظر واحدة وأعني بذلك أنها تحاول إقامة الدليل على حرية الإرادة الإنسانية مع الإيمان بقضاء الله وقدره، دون التفات إلى الرأي المخالف، وتقنيد أقواله ونقض أدلته، وإذن فهي ليست جدلية بالمعنى المعروف ولذلك نرى فيها كثيراً من التحلية التي لم يكن يتحلى بها الأسلوب الجدلي في ذلك العهد، ونرى في أسلوبها سموا وفي عباراتها إحكاماً وفي ألفاظها عناية واختياراً ونحن لا نستطيع أن نطمئن إلى صدق هذه الرسالة أو كذبها، إن الكلام عن مشكلة القدر يبدو أنه ظهر عند المسلمين في زمن مبكر

¹ - فايز عبد النبي فلاح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص 194.

² - نصار حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 121.

جدا، إذ أننا عندما نقرأ تراجم الصحابة والتابعين في هذه المشكلة شائعة في أوائل عهد هؤلاء وأواخر عهد أولئك مما يجعلنا نظن أنها كانت موجودة فعلا في زمن الحسن، ولكن قد يؤدي بنا أسلوب الرسالة أو السجقة الأولى منها، التي تبدو في نظري على الأقل قلقا إلى استنكارها وخاصة أن أصحاب المذاهب فيما بعد كانوا يحاولون دعمها بالأقوال التي يضعونها على أفواه من سبقهم من الصحابة والتابعين بل الرسول أيضا، ولكننا نستطيع الجزم بشيء، وإنما هو التردد والحيطة.¹

الرسالة الثانية: وأما الرسالة الثانية فكتبها عبد الله بن عباس إلى مجبرة الشام قال: "أما بعد أتأمرون الناس بالتقوى وبكم ضل المتقون، وتتهون الناس عن المعاصي وبكم ظهر العاصون؟ يا أبناء سلف المقاتلين وأعوانا لظالمين وعمار مساجد الفاسقين وخزان سلف الشياطين، هل منكم إلا مفتر على الله يحمل أجرامه عليه وينسبها علانية إليه...".

ونرى في هذه الرسالة منذ الوصلة الأولى ذلك السجع الغالب عليها الذي قد يخلي مكانه في آخر للازدواج، ويرى فيها الجمل متوازنة توازنا موسيقيا نتيجة ترادفها. ونرى الرسالة خالية من الجدل والنقاش بالرأي أو الدليل، وإنما هي سب وشتم وتقبيح لأعمالهم دون محاولة لإقناعهم ببطانها، وتلك هي حملة خصائص هذه الرسالة التي نرى فيها صنعة وعناية، وهي خصائص تبعتها كل البعد من الرسالة السابقة بل تجعلها نسيج وحدها كما سنرى بعد.²

الرسالة الثالثة: وفي هذا النوع من الرسالة يظهر الأسلوب الجدلي الحق، ومثال ذلك الرسالة التي أرسلها الحسن البصري أستاذ واصل بن عطاء رأس المعتزلة إلى عبد الملك بن مروان عن طريق الحجاج، يعرفه فيها برأيه في القدر، ويبدأ الحسن رسالته ببيان مسلك الصحابة وعدم خوضهم في هذه المشكلة، وأنه ما دفعه إلى الكلام فيها إلا خوض الناس وإنكارهم

¹ - نصار، حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 122.

² - المرجع نفسه، ص 122، 123.

للقدر فيقول بعد السلام والحمد والدعاء لأمر المؤمنين: "وقد أدركنا يا أمير المؤمنين السلف الذين عملوا بأمر الله، ورووا حكمته، واستتوا بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكانوا لا ينكرون حقا ولا يحقون باطلا¹، ولا يحقون بالرب تبارك وتعالى إلا ما الحق بنفسه، ولا يحتجون إلا بما احتج الله به على خلقه في كتابه، فإن الله تبارك وتعالى يقول وقوله الحق: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون* ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون*"، فأمرهم الله بعبادته التي لها خلقهم، ولم يكن ليخلقهم لأمرتهم يحول بينهم وبينه لأنه تعالى ليس بظلام للعبيد، ولم يكن أحد من السلف ينكر هذا القول، ولا يجادل فيه لأنهم كانوا على أمر واحد متفقين... وإنما أحدثنا الكلام فيه لما أحدث الناس النكرة له فلما أحدث المحدثون في دينهم ما أحدثوه أحدث الله للمتمسكين بكتابة ما يبطلون به المحدثات²."

ويحذرون به من المهلكات" ويستمر الحسن علة هذا المنوال في تنفيذ آرائهم بالأدلة القرآنية، ومنه نستنتج أن رسائل الحسن البصري تعتمد على الأدلة والبراهين المأخوذة من الآيات القرآنية.

الرسالة الرابعة: وهذه الرسالة تتناول مشكلة القدر أيضا، وذلك مما يؤكد قول بعض العلماء الذين يذهبون إلى أن الكلاميين الأمويين كان جل همهم، إن لم يكن كله منصبا على هذه المشكلة وحدها، وقد كتب هذه الرسالة عمر بن عبد العزيز إلى نفر كذبوا بالقدر فقال: "أما بعد فإنكم كنتم إلى بما كنتم تسترون منه قبل اليوم في رد علم الله والخروج منه إلى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف على أمته من التكذيب بالقدر، وقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون: "الاعتصام بالسنة نجاة وسيقبض العلم قبضا سريعا"، وقول عمر بن الخطاب وهو يعظ الناس: "إنه لا عذر لأحد عند الله بعد البينة بضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في تركه حسبها ضلالة قد تبينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر...".

¹ - نصار، حسين نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 123.

² - المرجع نفسه، ص 124.

ثم يأخذ في مناقشتهم مبتعدا عن الشتم ومستعينا بالأدلة القرآنية: "وإنكم ذكرتم أنه بلغكم أنني أقول: "إن الله قد علم ما العباد عاملون¹، وإلا من هم صائرون" فأنكرتم ذلك علي وقلتم: "إنه ليس يكون ذلك من الله في علم حتى يكون ذاك من الخلق عملا: فكيف ذلك كما قلتم والله تعالى يقول: إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون" يعني عائدون في الكفر، وقال تعالى: "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون".²

وخلاصة القول نرى أن هذه الرسائل جميعها تتناول مشكلة القدر، فنرى في رسالة الحسن ابن علي فهي رسالة جدلية تمتاز بكشف النقاب عن رأي صاحبها والتدليل العقل عليه دون أن ننسى رسائل الحسن البصري فهي جدلية أيضا وأدلتها كلها مأخوذة من القرآن، أما رسالة عمر ابن عبد العزيز تميل إلى الحد من الإرادة الإنسانية وهي تمثل القمة في الأسلوب الجدلي الأموي من حيث استخدام جميع أنواع الأدلة من قرآنية وعقلية وإخبارية.³

رسائل الشوق والوجد الديني:

لقد أثار الوجد والشوق الديني إلى زيارة الأماكن المقدسة لونا طريفا من ألوان أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، كما يشير إلى ذلك المقري في حديثه عن هذا اللون من الرسائل: "أقول هذا مقام طالما طمحت إليه همم الرجال وتسابقت جياذ أفكارهم في مضماره بالروية والارتجال وسارت أرواحهم مع الرفاق، وإن أقامت الأشباح وطارت قلوبهم بالأشواق، ولم لا وهو سوف تعظم فيه الأرباح..." وكانت بعض هذه الرسائل تصور نفسية أولئك الكتاب الذين لهم تسعفهم الظروف لزيارة الحرم الملكي والقبر النبوي، وتصف ما يكابدونه من شوق وحنين إلى تحقيق هذه الأمنية العزيزة التي حرمت منها نفوسهم، فكانوا يكتبون بها إلى الرسول عليه السلام مع أولئك الذين شدوا الرجال إلى قبره الطاهرة فهذا ابن

¹ - ينظر، نصار حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 125.

² - المرجع نفسه، ص 126.

³ - المرجع نفسه، ص 127.

أبي الخصال يبعث رسالة إلى قبر الرسول الكريم، وقد افتتحها بمدحه وذكر صفاته الطيبة ومناقبه العظيمة ومآثره الكثيرة ومعجزاته البينة حيث يقول: إلى الرؤوف الرحيم الرسول الكريم في الخلق العظيم، والحسب الصميم والصفح الجميل¹... خطيب الأنبياء وإمامهم في اليوم المشهود، المكين الأمين الذي ليس على الغيب بضنين...".

وقد كتب ابن أبي الخصال رسالته هذه عن "دمع يفسح ونفس يلفح وصدر بأشواقه ملآن يطفح... زفرة بأنحاء الضلوع تجئ وتذهب... وسبب هذا الحزن الذي بلغ به مبلغا عظيما أنه لم أعبر إلى زيارتك لجة ولا مومة ولا أخطرت في قصدك نفسا أنت منقذها ومحبيها ولا مثلت بمعاهدك المشهورة ومشاهدك المطهرة..." تظهر هو يدعو الله أن يحقق له هذه الأمنية العزيزة في زيارة قبر الرسول الكريم والتي أصبحت حلما وخيالا يقول: "اللهم كما جعلتني من أمته واستعملني بسنته، وشوقني إلى آثاره وشغلت قلبي بتخليه وتتكاره وأريتني تلك المعالم المنيفة خيالا وخططت منها في الضمير مثالا، وأشهد تنيها ملء السمع والفؤاد جمالا فاشف بمرآها بصرا ضريرا وسيناها يرتد بصيرا..."².

يكشف لنا عن تلك الأخطار والمصائب التي حالت دون زيارته، ويقدم عذره للرسول الكريم ويقول: لو أتيت يا رسول الله سؤلي لسبقت إليك كتابي ورسولي، ولكن قل الوعد واستغل السفر، وغادروني حرضا، ولسهامهم بالوجد والأسى غرضا أبتعهم نفسا لا يؤوب وقلبا سيحقه القلق والثوب...".

ويختتم ابن أبي الخصال رسالته متشوقا إلى قضاء مناسك الحج، ومشاهدة مواقيته ويشفع ذلك بقصيدة طويلة³:

¹ - القيسي، فايز عبد النبي فلاح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، ص 194.

² - المرجع نفسه، ص 195.

³ - المرجع نفسه، ص 195، 196.

وقد كتب ابن الجد رسالة أخرى يهنئ فيها من سعد بزيارة قبر الرسول الكريم ويعبر فيها عن مشاعره العظيمة وتهانيه الصادقة، وهو يتخيل رحلة الحج كاملة ويبين تأديته لشعائر الحج حيث يقول: "لقد شهد فيه الميقات بخلاص إملالك وإحرامك واهتز البيت العتيق لطوافك واستلامك، ورضيت المروة والصفاء عن كمال أشواطك..."، ومهما يكن من أمر فإن هذا اللون من الرسائل يكشف عن التدين العميق الكامن في نفوس الأندلسيين وتطلعهم الصادق إلى تأدية فرض من جوانب عبادة الله وتشوقهم إلى زيارة قبر الرسول الكريم.

كما تكشف عن المصاعب والمخاطر التي تكشف رحلة الحج والتي تجعل من تأدية هذه الفريضة أمراً صعباً عزيز المنال، مما يدفع بعض الكتاب إلى التعويض عن الرحلة بكتابة رسائل مطولة وإرسالها إلى مقام الرسول الكريم مع حجاج بيت الله، ولعل السبب الرئيسي الذي أدى إلى ظهور هذا اللون من الرسائل هو الظروف الصعبة التي مرت بها الأندلس في هذه الفترة حيث اتخذ الكتاب الأندلسيون من ذكر مناقب الرسول الكريم ومعجزاته والتشوق إليه وسيلة لطلب النجدة والاستشفاع به ليخلصهم الله من المحن التي حلت بهم ويرد عنهم كيد الصليبيين.¹

الرسائل الإخوانية:

الرسالة الإخوانية هي تلك الرسالة التي يكتبها صديق إلى صديقه في مدح أو شكر أو تهنئة أو تعزية أو شوق أو عتاب أو نحو ذلك مما يكون بين الأصدقاء، فهي تلك الرسائل التي تصور عواطف الكتاب وانفعالاتهم ومشاعرهم الخاصة، وقد راج هذا الضرب من الكتابة الأدبية في مختلف العصور وخاصة في العصر العباسي، وكثيراً ما اتخذ بعض الأدباء وسيلة للتسلية وتمرين القريحة دون أن تكون هناك داعية إخوانية إلى ذلك، وقد صرح

¹ - القيسي. فايز عبد النبي فلاح، ص 197، 198.

بذلك الأدبي الشاعر زين الدين بن الوردي في خطبة ديوان شعره ونثره وكذلك الكاتب شهاب الدين الحلبي في كتابه "حسن الترسل".¹

وموضوعات هذا اللون من الرسائل كثيرة ومتعددة وقد جعلها مؤلف صبح الأعشى في سبعة عشر نوعاً منها التهناني والتعازي، والعتاب والشكوى والاعتذار والاستمناع والشكر وما إلى ذلك من الموضوعات، وهي على تعددها تتدرج في مجموعتين أولاهما الرسائل الإخوانية شبه الرسمية وهي تلك الرسائل التي تحتفظ بالبعد الاجتماعي بين والمخاطب، أي أنها تلك الرسائل التي يتبادلها الخليفة أو الأمير أو الوزير مع من دونه في المنزلة الاجتماعية في أمور خاصة، وثانيهما الرسائل الإخوانية الذاتية وهي التي تتناول ما يدور بين الأصدقاء من عتاب وشوق وعزاء وما إلى ذلك من العواطف.

وتشتغل الرسائل الإخوانية شبه الرسمية جزءاً كبيراً مما انتهى إلينا من الرسائل الإخوانية في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري²، أما بالنسبة للرسائل الإخوانية في الصدر الأول من الإسلام فإننا لم نكد نجد شيئاً، فهم لا يرون لنا للنبي غير رسالة إخوانية واحدة يعزي فيها معاذ بن جبل في ابن مات له يقول: من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليك فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو أما بعد:

فعظم الله لك أجرك وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأهلينا ومواليينا³ من مواهب الله السنية وعوارفة المستودعة، نمتع بها من أجل معدود وتقبض لوقت معلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله السنية وعوارفة المستودعة، نمتع بها من أجل معدود، وتقبض لوقت معلوم، ثم افترض علينا الشكر إذا

¹ - بتصرف، سليم محمود رزق، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، 1957 م، ص 31.

² - المرجع السابق، ص 100.

³ - بتصرف، نصار حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 85، 86.

أعطى والصبر إذا ابتلى، وكان ابنك من مواهب الله السنية، وعوارفه المستودعة، متعك بك في غبطة وسرور وقبضة منك بأجر كثير الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت وأحسنيت، فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين، أن يحبط جزعك صبرك فتندم على ما فاتك فلو قدمت على ثواب مصيبتك قد أطعت ربك وتتجزت موعودة، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه واعلم أن الجزع لا يرد الموعود وليذهب أسفك هاهو نازل بك، فكان قد" في هذه الرسالة تتضح روح الرسول وعاطفته الدينية أكثر من غيرها وذلك أمر لا غرابة فيه لأنها رسالة إخوانية يصدر فيها كلام النبي عن عواطفه وأحاسيسه التي قد لا تظهر في المعاهدات أو كتب الأمان أو غيرها من الكتب السياسية ونرى في هذه الرسالة أيضا نوعا من الفصاحة والبلاغة يعلو بعض الشيء عن كتبه صلى اله عليه وسلم السياسية، ونلاحظ فيها أيضا الصلة الشديدة بينها وبين أقواله في الوعظ والإرشاد.¹

وتعالج الرسائل الإخوانية موضوعات مختلفة ومتعددة نذكرها فيما يلي:

العتاب: وهو يتمثل في تلك الرسائل التي تدور حول عتاب المخاطب في إساءة منه فأوجب عناية له وتباين صور العتاب بين اللين والرقّة والقسوة وذلك بحسب نفسية الكاتب وحالته والغرض الذي استتاره فدبج رسالته فيه.²

الاعتذار: يعد الاعتذار آية من آيات الوفاء والصداقة والمودة بين المتراسلين وفي هذا اللون من الرسائل يعتذر الكاتب لمخاطب عن تقصير حدث منه ويحاول التقرب منه واستقرار عطفه ومحبه ومنه فإن رسائل الاعتذار غالبا ما كانت تجري بين الأصدقاء الذين بينهم علاقات مشتركة، فيسيء أحدهم ثم يندم، ويحاول استمالة الطرف الآخر ويتصل من فعله ويحتج لنفسه ليحل المودة والمحبة من جديد محل البغض والكراهية.

¹ - نصار، حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 86.

² - القيسي، فايز عبد النبي فلاح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، ص 101.

ومن رسائل الاعتذار تلك الرسالة التي كتبها الفقيه أبو إبراهيم وفيها يقول: قرأت أبقى الله الأمير -سيدي- هذا الكتاب وفهمته ولم يكن توقفي لنفسي إنما كان لأمر المؤمنين سيدنا أبقى الله سلطانه".¹

ثم هو يعبر عن اعتذاره، ويلتمس من سيرة الخليفة عبد الرحمن الناصر وأجداده من قبل وموقفهم من الفقهاء والعلماء مبرراً لتخلفه عن حضور الحفل الذي دعي إليه حيث يقول: "للمي بمذهبه، ولسكوني إلى تقواه واقتفائه لأثر سلفه الطيب رضوان الله عليهم فإنهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتنونها بما يثبتها، ولا بما يغض منها ويترك إلى تنقصها فيستعدون بها لدينهم ويتزينون بها عند رعاياهم، ومن يفد عليهم من قصادهم، فهذا تخلف وللمي بمذهبه توقفت".²

الشكوى والاستعطاف: تعددت رسائل الشكوى في مختلف العصور إن لجأ كاتبوها إلى التخفيف عن أنفسهم مما يعانونه من وطأة الحياة ونزول نوائب الدهر، فإذا هم يصدرون آهاتهم كلمات تحمل مرارة البلوى، وشدة الحزن³، واتسعت دائرة موضوعات الشكوى، وأغراضها فكان الأدباء يشكون من غدر الزمان وتقلب أحواله، كما شكوا من الناس وتغير أخلاقهم وفساد أعمالهم، ومن الشواهد المتميزة في هذا الصدد ما كتبه الجاحظ يصور أحواله، ويشكو لأحد أصدقائه ما يجد من المشاق النفسية، والضغوط الخارجية رابطاً بين فساد الزمان وفساد أحوال أهله فقال: "كتبت إليك وحالي حال من كثفت عمومه وأشكلت عليه أموره واشتبه عليه حال دهره، ومخرج أمره، وقل عنده من يثق بوفائه أو يحمد معبة إخوانه لاستحالة زماننا وفساد أيامنا" وإزاء اشتداد الأمور والتباسها، وبوائق الزمان وأهله، أحس الجاحظ بأزمة نفسية خانقة، مما أثاره ليمسك اليراع ويصف ما شعر به من تكالب

¹ - القيسي، فايز، عبد النبي فلاح أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص 102، 103.

² - المرجع نفسه، ص 103.

³ - الحلبي، خالد، الرسائل النثرية الشخصية في العصر العباسي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 25، العدد الأول + الثاني، 2009، ص 57.

الحياة وغموم الوقائع، وهموم التعامل مع الآخرين. ثم أخذ الجاحظ يفصل في المسألة أكثر: فأعطى جانباً من الصورة العامة للزمان، فإذا هو يجدها متمثلة في انقلاب المفاهيم وتغير مواقف الناس من القيم النبيلة، والصفات الحميدة، مما سبب اختلالاً عميقاً وواسعاً في الواقع الحياتي يقول: "فوجدنا الحياة متصلاً بالحرمان، والصدق آفة على المال، والقصد في الطلب دليلاً على سخافة الرأي إذ صارت الخطوة الباسقة والنعمة السابغة في لؤم المشيئة، وسناء الرزق، من جهة محاشاة الرجاء، وملابسة معرة العار".¹

ومن الرسائل الشكوى والاستعطاف ما كتبه بقي بن مخلد إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن يشكو إليه خصومه ويستعطفه ويسأله التشبث في أمره، والجمع بينه وبين خصومه الذين وشبوا إليه، ومن هذا الضرب من الرسائل أيضاً ما كتبه الوزير محمد بن سعيد الزجاجي إلى الأمير عبد الرحمن الناصر يشكو فيه تنكيد الحساد، وتكدير الوشاة لصفو حياته وسعيهم لهدم منزلته، وعلى رأسهم نصر الخصي، ويصف حاله قائلاً: "قد علم ما خصني به دون نصرائي من المنزلة الرفيعة التي أصبحت علماً من أجلها محسوداً مرمياً بالحدق تسلقني الألسن وتجول في الأفكار، وعندما استوى بناؤها، وقام عمودها، واسترخت أطناؤها سعى في هدمها من لا أزال أؤثل شرف ذكره وأجل رفيع قدره" ومن رسائل الشكوى أيضاً رسالة كتبها الوزير جعفر بن عثمان المصحفي إلى الحكم المستنصر يشكو فيها حاله وشدة بأسه، وارتفاع رجائه، ويسأله أن يخلفه في بيته وأهله الخلافة العالية، وقد أصابته علة جديدة يئس فيها من الحياة، وفي النفح إشارة إلى رسالة كتبها ابن رماحس* إلى الحكم المستنصر يشكو فيها موقف ابن رفاعه** من وفادة أبي علي القالي.

¹ - الحلبي. خالد، الرسائل النثرية الشخصية في العصر العباسي، ص 58.

الاستمناح والطلب: يعد الاستمناح والطلب من الأغراض المهمة التي تناولتها الرسائل الإخوانية شبه الرسمية في هذه الفترة، وفي هذا الضرب من الرسائل كان الكاتب يسلك¹ مسلك الشاعر في طلب الرغد والعطاء، حين يصف خصال الممدوح الحميدة، لذا فإنه يغلب على هذه الرسائل طابع المديح، وتتسم بالبراعة في الصياغة، ومما وصلنا من هذا اللون من الرسائل ما كتبه الوليد بن عبد الرحمن للأمير محمد بن عبد الرحمن يطلب منه تقليده منصباً رفيعاً، ويرجو أن يدينه من رحابه ويزيد من عنايته به ذاكراً أفضاله وأياده عليه، أملاً استمرارها ودوامها، حيث يقول: "عظمت نعمة الخليفة سيدي_أيده الله_ عن الشكر وجلت أياديه عن النشر فمتى رمت ذكر ادني شكره، وحمد أيسر ما اشتمل علي من فضله تكاد في الشكر وأعجزني الحمد، ولست بمؤمل مع ذلك من الاستقراغ في القول والاجتهاد في العمل، إذ لم أرهما يدوران إلا على نعمة أزلقت، ويقتصران إلا على زيادة انتظرت وأنايتهما مخيم وعليهما معول".²

المودة والصدقة: وهي نوع من أنواع الرسائل الإخوانية فهي تعبر عن صدق العواطف، وتصور الوفاء والود الذي يربط الخلفاء والأمراء بوزرائهم أو ولاتهم أو أفراد رعيّتهم، ولاسيما أن علاقة خلفاء الأندلس وأمرائهم بوزرائهم وولاتهم وغيرهم قد امتازت في معظم الأحيان بالود الخالص، ونجد كثير من الرسائل في هذا النوع ومنها ما كتبه الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر وبعثه مع هديته المشهورة، وفيه يعترف للناصر بالنعمة والشكر عليها، ويعبر عن وده الخالص له، وأنه يتصيد إرضاءه ومسرته، وقد فسر هديته تلك وأثبت محتوياتها في رسالته، ومما جاء في تلك الرسالة:³ "ولما علمت تطلع

* هو ابن رماحس قائد البحر أبام عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم.

** هو ابن رفاعة الإلبيري كان من أهل الأدب والمعرفة، وفي خلقه حرج وزعارة وهو من رجال عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم.

¹ القيسي، فايز عبد النبي علاج، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، ص 104.

² المرجع نفسه، ص 105.

³ المرجع نفسه، ص 106.

مولاي_أيده الله تعالى_ إلى قرية كذا بالقذبانبة المنقطعة الغرس في شرقها، وتزداد_أيده الله تعالى_ لذكرها، لم اهنأ بعيش حتى أعملت الحيلة في ابتياعها بأحوازها، وأكتبت وكيلة بن بقية الوثيقة فيها باسمه ،وصمها إلى ضياعه، وكذلك صنعت في قرية من نظر جيان، عندما اتصل بي من وصفه لها وتطلعه إليها فما زلت أتصدى لمسيرته بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها وجميع منازلها وربوعها.¹

الهجاء: يعد الهجاء من الموضوعات القليلة التي تناولتها الرسائل الإخوانية شبه الرسمية، ومما انتهى إلينا من هذا اللون من الرسائل ما كتبه الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى القائد أحمد بن إسحاق الذي بعث إلى الخليفة رسالة يطلب فيها أن يجعله وليا لعهد بل لا من الحكم أو عبد الله ابني عبد الرحمن الناصر، وقد اغتاض الناصر منه كل الغيظ، وسخط عليه فكتب إليه هذه الرسالة يحط فيها من شأنه وينقص من قدره، فهو يصفه بأنه قد طبع على قلة الفهم والإدراك: "أما بعد فإننا كنا نرى الاستحمام إليك استصلاحا لك، فأبى الطبع الغريزي إلا ما استحکم منه فيك، إلى أن استحوذ عليه بالفقر يصلحك، والغنى يطغيك إذ لم تكن عرفته ولا تعودته"² ويظهر للباحث أن الرسائل الإخوانية الذاتية كانت قليلة جدا. ولعل ذلك يعود إلى أن الشعر كان هو الفن الأول عند العرب في الأندلس للتعبير عن الموضوعات الذاتية الخاصة التي يشترك و إياها في التعبير لذلك فقد كانت الرسائل الذاتية الخاصة قليلة جدا، وقد ضاع جل هذه الرسائل ولم ينته إلينا إلا عدد قليل منه".³

ومن ذلك رسالة هاشم بن عبد العزيز لما وقع في الأسر إلى صديقه الوليد بن عبد الرحمن، ورسالة الوليد الجوابية إليه، وتلك الرسالة فريدة في نوعها حيث أنها تتناول موضوعات مختلفة هي الشكوى والشكر والشوق، ويكتنف هذه الموضوعات جميعا الحزن

¹ - القيسي ،فايز عبد النبي فلاح ، ص 107.

² - المرجع نفسه، ص 108.

³ - المرجع نفسه، ص 109.

والحسرة التي تفتت الكبد وتحرق الأحشاء، وقد بدأ هاشم بن عبد العزيز رسالته بالشكوى حيث عرض حاله، ومآل عليه في دار الكفر، وعبر عن أسفه لمقامه هناك وحسرتة على فراق دار الإسلام يقول: "ما آسى_ أكرمك الله _إلا على مفارقتي تجاوب الآذان وتبدلي من ذلك بصليل النواقيس والصلبان وأن تعالجنى منيتي فأصير موسوما ببلدة كفر أخشى المصير منها إلى الحشر، فيا لها حسرة فتتت الكبد الحرى وأحرقت جمرتها الأحشاء، ثم انتقل إلى شكره مخاطبه على اعتنائه بأسرته وفي ذلك نلمس تعبيراً عن أواصر الصداقة والمودة بينهما، وفي ذلك يقول: "وقد كفيتني_ أبقاك الله _ما كنت أرغبه من الرغبة في الحنو على من تخلفتهم والحفظ لمن فارقتهم والتسلية لمن فجعتهم بما قد أتيت من ذلك، وأرييت على المنى منه، فالله ولي مجازاتك ومحتمل مكافأتك.

وقد ختم رسالته هذه بالتعبير عن شوقه إلى صديقه، وتسوله إليه بأن يمن عليه برسالة تشرح حالة حيث يقول: "إن حشر خروج رسول إلى ما قبلنا¹ فلا تخلني بفضلك من عظم المنة علي بكتابك والصلة لي بعلم حالك، فإني لي من الشوق إليه والتطلع له ضعف ما بفؤادي من لوعة الحزن التي أملتني الحياة وجببت إلي الوفاء"، وقد أجابه الوليد بن عبد الرحمن برسالة مماثلة، رد فيها على كل فصل من فصولها وقد استهل رسالته هذه بالتعبير عن شوقه العظيم له، وحسرتة الشديدة على فراقه، وحزنه العظيم لما حل به حيث يقول: ورد كتابك يا سيدي فسكن من حرقى بك وأطفأ من غلتي فيك وهذا من عويلي عليك، فيا لهفاه على فراق غرتك، وفقدان رؤيتك لهفا على ما إن ينقطع ولا ينصرم".²

وختم رسالته بطمأنه صديقه على حال ولده وأهله وذكر له أنهم في غاية الشوق والحنين إليه : "وكل من تخلفتهم من الأهل والولد معافون في الأبدان دون القلوب وجدا بك وحنينا إليك، وقد خلف فيهم من حوط الله تعالى ثم حوط سيدنا الأمير أبقاه الله ورحم بره

¹ - القيسي. فايز عبدالنبي فلاح، المرجع السابق، ص 109.

² - المرجع نفسه، ص 110.

ولين كنفه وحفي تفقده، ما ينبغي لك أن تسقط معه جثوم الغم عنك ولزوم الأسف لك، إن شاء الله" لقد كانت هذه الرسالة جميلة وقد عبرت عن معاني الود والصداقة الخالصة.¹

التعزية: التعزية من الأغراض التي تناولها الكتاب في رسائلهم وتصور تلك الرسائل المصاب الأليم وماله من وقع عظيم على النفوس، وغالبا ما تتضمن معاني الدعوة إلى الصبر والجلد والتسليم بقضاء الله وقدره، وتسليية أهل الفقد والتخفيف عنه والدعاء له ويذكر محاسن الميت، ومن رسائل التعزية رسالة كتبها شهاب الدين محمود الحلبي لأحد الأشخاص يعزیه ب وفاة ولده وقد بدأ رسالته بالحزن والأسى على فقد الولد، ثم ذكر محاسن ذلك الولد المتوفى، فقد كان أمل والده وشارح صدره وصاحب ذكر جميل، ثم ذكر والد الفقيد بأن الموت كأس يشرب منه الجميع ثم قدم المواساة والتعزية في هذا المصاب الجلل وذكره بضرورة حمد الله على حلو القضاء ومره، ثم دعاه بعظيم الأجر وطول العمر وشرح الصدر وكان هذا النوع من الرسائل في العصر المملوكي.²

الشكر: كانت هذه الرسائل تذيح بعبارات المدح والثناء والشكر وهي ترسل بين الأصدقاء وتكون لشكره على هدية أو شكر على تهنئة قد أرسلها له، أو شكر على مساعدة قد قدمها الصديق لصديقه، ومن ذلك رسالة شكر أرسلها إبراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد رد فيها على صلاح الدين الصفدي الذي أرسل له رسالة تهنئة بمناسبة العودة لمنصب كتابة السر وقد بدأ الرسالة بأبيات من الشعر وشكره فيها على التهاني والبشائر واعتذر له على تقصيره عن شكره أفضل الشكر وختمت الرسالة بدعاء له ليبلغه الله الأمانى، وهناك رسالة شكر

¹ - القيسي، فايز عبد النبي فلاح، ص 110.

² - النحال، رشا فخري، فن الرسائل في العصر المملوكي، دراسة تحليلية بحث للحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013، 2014 م، ص 88.

يشكره فيها على هذه الهدية ويمدحه ويصف الصقر وبرزت هذه الرسائل في العصر المملوكي.¹

رسائل العتاب:

تحتل رسائل العتاب مكانا مميزا بين أنواع الرسائل الاجتماعية، والعتاب لا يكون إلا لمن أحبه الشخص، وفي رسالة العتاب غالبا ألفاظ تدل على المحبة والمودة، وكانت رسائل العتاب تبدأ بالحديث عن العلاقة التي تربط الكاتب المخاطب وقد اهتم الكتاب بهذا النوع من الرسائل في مختلف العصور، ومن الرسائل التي تحمل ذلك المعنى رسالة ابن العميد لابن بلكا يعاتبه وذلك عند استعصائه على ركن الدولة، إذ يقول فيها: "كتابي وأنا متأرجح بين طمع فيك، ويأس منك وإقبال عليك وإعراض عنك، فإنك تدلي سابق حرمه وتمت سالف خدمة أيسرهما يوجب حقا ورعاية ويقتضي محافظة وعناية ثم تشفعهما بحديث غلول وخيانة وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يخطب أعمالك ويمحق كل ما يرمى لك لا جرم أني وقعت بين ميل إليك وميل عليك، أقدم رجلا لصدك وأوخر أخرى عن قصدك وأبسط يدا لاصطلامك واحتياجك وأنثى ثانية لاستبقائك واصطلاحك، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك فضنا بالنعمة عندك ومناقشة في الصنيعة لديك، وتأميلا لفتيتك وانصرافك ورجاء لمراجعتك وانعطافك فقد يغرب العقل ثم يؤوب ويغرب اللب ثم يثوب، ويذهب الحلم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويبضاع الرأي ثم يستدرك، ويكسر المرء ثم يصحو ويكدر الماء ثم يصفو وكل ضيقة غالي رخاء وكل غمرة قالي إنجلاء، وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحسب أولياؤك فلا يدع أن تأتي من إحسانك بما لا ترقبه أعداؤك، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت واخترت ما اخترت، فلا عجب أن تنتبه انتباها تبصر فيها قبح ما صنعت وسوء ما آثرت وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح وعلى الاستيناء والمطاولة ما

¹ - النحال، رشفا فخري فن الرسائل في العصر المملوكي، ص 86، 87.

أمكن طمعا في أنابتك عليك وتحكيما لحسن الظن بك فلست أعدم في ما¹ أظاھرہ من أعدار وأرادفه من إنذار احتجاجا عليك، واستدراجا لك فإن يشأ الله يرشدك ويأخذ بك إلى حظك ويسدّدك"، ففي هذه الرسالة عند قراءتها نلمس فيها تمضى كلها على السجع والعناية بالبدیع، وتمتاز هذه الرسالة ببعض المميزات مثل عدم التقيد بالسجع مع شيوعه فيها، وميله إلى الترادف والإطناب.²

¹ - ينظر، عطية الله أسماء عبد الرؤوف، الرسائل في العصر العباسي، أنواعها وخصائصها الفنية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009 م، ص 83.

² - المرجع نفسه، ص 84.

أما إذا انتقلنا إلى العصر الأندلسي نجد رسالة بعث بها الحاكم بن عبد الرحمن الناصر بأمر والده إلى الفقيه أبي إبراهيم يعاتبه فيها علي تخلفه عن حضور حفل رسمي دعي إليه وقد استهلها بإطراء الفقيه تمهيدا لغرضه وتوطئة للعتاب: "لما امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي_أبقاه الله -خصوصا للمشاركة في السرور الذي كان عنده. لا أعدمه الله توالي المسرة ثم أنذرت من قبل إبلاغا في الكرامة" ثم يتدرج الكاتب للحديث عن أسباب العتاب والملامة كما جاء في الرسالة السابقة حيث يقول: "فكان على ذلك كله من التخلف ماضاقت عليك في المعذرة واستبلع أمير المؤمنين في إنكاره ومعاتبتك عليه ، فأعيت عنك الحجة" وقد يستفسر عن عذره والأسباب التي أوجبت إساءته كما جاء في الرسالة السابقة أيضا : "فعرفني ، أكرمك الله ، ما العذر الذي اوجب توقفك عن إجابة دعوته ومشاهدة السرور الذي سر به ، ورجب المشاركة فيه ، لنعرفه _أبقاه الله _بذلك فتسكن نفسه العريضة إليه"¹ ومن رسائل العتاب أيضا تلك الرسالة التي بعث بها بدر مولى عبد الرحمن الداخل إلي سيده عندما لمس تغيرا في معاملته له حيث هجره وجفاه مما أهانه في عيون أكفانه وشمته به أعداءه وأضعفه عند من يلوذ به من خدمه ، على الرغم مما قدمه في خدمة دولته ومما جاء في تلك الرسالة "أما كان جزائي في قطع البحر ، وجوب الفقر والأقدام على تشييت نظام مملكة وإقامة أخرى غير الهجر الذي أهانني في عيون أكفاني واشمت بي أعدائي ، وأضعف أمري ونهي عند من يلوذ بي . "وقد يصل العتاب في بعض الرسائل إلى حد الهجاء والتقريع واللوم الشديد ، كما في الرسالة الجوابية التي بعث بها عبد الرحمن الداخل إلى مولاه بدر حيث كتب إليه يقول : "وقفت على رقعتك المنبئة عن جهلك وسوء خطابك ، ودناءة أدبك ، ولئيم معتقدك والعجب انك متى أردت أن تبني لنفسك عندنا متاتا أتيت بها يهدم كل متات مشيد مما تمن به ، مما قد اضجر الإسماع تكراره وقدحت في النفوس إعادته".²

¹ - ينظر: القيسي، فايز عبد النبي فلاح، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، دار البشير، ص101.

² - المرجع نفسه، ص102.

المخاتمة العامة

خاتمة:

إن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة وإن وصول المرء متأخرا إلى ما يدعى إليه خير من أن لا يصل وآمل أن هذا البحث قد حقق الغاية المرجوة بعد أن خلصت إلى جملة من النتائج والملاحظات المتمثلة في:

- يعتبر أدب الرسائل لونا من ألوان النثر الفني الجميل، وضربا من ضروبه التي تنهال على الترجمة انهيارا.

- تتطور أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري تطورا كبيرا من حيث الاتجاهات والموضوعات واستطاع الكتاب أن يجولوا رسائلهم في كل ميدان وأن يعالجوا شتى الموضوعات والأغراض السياسية والاجتماعية.

- واكب أدب الرسائل جميع مظاهر الحياة الأندلسية وكان انعكاسا لها بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والفكرية والطبيعية، مما جعل له قيمة إنسانية كبيرة حفظت له حياته وضمنت بقاءه في المصادر التاريخية والأدبية.

- إن أغلب الكتاب حرصوا على الاقتباس من القراءان الكريم والحديث الشريف، كما حرصوا على تضمين رسائلهم الأخبار والأمثال والحكم إلى غير ذلك من مصطلحات الفقه والنحو.

- اهتمام كتاب الرسائل بفن الشعر ويظهر ذلك جليا من خلال تضمين رسائلهم أبياتا من الشعر.

- اهتمام الكتاب الأندلسيون بالكتابة المتأنقة، وأكثروا من استعمال المحسنات البديعية في رسائلهم وذلك من خلال استخدام ألوان البلاغة فيها من سجع وجناس وطباق واستعارة وتشبيه وكناية.

- اهتمام كتاب الرسائل بعناصرها: (البسمة، العنوان، الحمدلة، الصلاة على الرسول، المضمون، الخاتمة).

وفي خاتمة بحثي أتمنى من الله العزيز أن أكون قد وفقت في دراستي هذه.

ملحق

ملحق:

نبذة عن حياة ابن عطية الأندلسي:

هو أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالي بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية المحاربي من قبيلة قيس غيلان بن مضر، من أهل غرناطة ولد سنة 481 هـ بغرناطة بالأندلس مع بداية عهد دولة المرابطين التي كانت تعرف بدولة الفقهاء، وينتمي لأسرة مهاجرة من المشرق وكانت الأسرة ذات علم ومكانة هيأت له أسباب طلب العلم، فتتلمذ على كبار علماء الأندلس فهو لم يرحل كما رحل غيره من علماء الأندلس بسبب ظروف بلاده آنذاك، كان فقيها عالما بالتفسير والأحكام والحديث وكانت له اليد الطولى في اللغة والأدب والشعر.

فقال في حقه ابن بشكوال في الصلة: "...وكان واسع المعرفة، قوي الأدب، متفننا في العلوم"

مسيرته العلمية والعملية:

لا يعلم شيء عن نشأته العلمية الأولى، التي لا تخلو أن تكون جارية على ما كان مألوفاً من تعلم القرآن والخط، وتلقى مبادئ العلوم الإسلامية والأحكام الدينية لكي يتهيأ إلى حياة علمية مكثفة، ولما بلغ طور الطلب بتجاوز المرحلة الأولى فأخذ في مجالسة الشيوخ والاتصال بهم وملاقاتهم أينما وجدوا في أعظم مدن الأندلس، فروى وأخذ عن الكثير من المشائخ، وقد كان أبوه "غالب" حريصاً على طلب الإجازة له من الكثير من العلماء، فستجاز له أبا جعفر أحمد بن خلف بن عبد الملك المعروف بابن القليعي بإجازة، كما كان عبد الحق بن عطية حريصاً على طلب الإجازة من العلماء فقد راسل عدد منهم لاستجازته، فكتب إلى أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي الذي بعث له بالإجازة من مدينة مالقة، وكتب أيضاً إلى أبي علي الحسين بن محمد بن فيره الصدفي السرقسطي طالبا منه الإجازة فأجازه،

وقد وردت عليه إجازات علماء آخرين كأبي عبد الله محمد بن منصور الحصرمي الساكن بالإسكندرية والإمام المازري دفين مدينة المنستير التونسية.¹

وكان عبد الحق بن عطية حريصا على الالتقاء بالعلماء والاجتماع بهم في كل مدن الأندلس التي حل بها، فلقي بمدينة غرناطة محمد بن علي بن حميد الثعلبي وأبا بحر سفيان بن العاصي ولقي بقرطبة أبا القاسم خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد بن الحصار المعروف بابن النحاس ومحمد بن عبد الرحمن بن عتاب ولقي بمدينة اشبيلية الحسن بن عمر الهوزني ولقي يحيان محمد بن عمر أبي العصافير الجاني، ولا يعرف الابن عطية رحلات علمية أو الغرض آخر خارج الأندلس.

تلامذته:

تتلمذ على يد عبد الحق بن عطية الكثير من العلماء وأخذوا عضو رؤوا عنه الكتب والمصنفات فمن بين تلامذته:

1- ابنة حمزة.

2- أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبيد بن يوسف الأنصاري الأندلسي المعروف بابن جيش.

3- عبد الملك بن محمد بن مسعود أبي الخصل الغافقي.

4- عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد الخزرجي المعروف بابن الفرس.

5- أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي.

6- أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي المعروف بابن الإقليشي.

¹ - ابن عطية عبد الحق، فهرس ابن عطية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980، ص 59.

مؤلفاته:

كل المصادر التي ترجمت لعبد الحق بن عطية ذكرت له كتابين:

- فهرس ابن عطية.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

وفاته:

اختلف المؤرخون في سنة وفاته فذهب ابن بشكوال والسيوطي ومحمد مخلوف إلى أنها سنة 542 هـ، وذهب الداودي وابن فرحون والبغدادى وعبد الحي الكتاني إلى أنها سنة 546 هـ، أما في مقدمة البحر المحيط لمحمد بن يوسف أبي حيان الغرناطي فورد أنه توفي في 25 رمضان 541 هـ والاعتماد في ذلك على القاضي ابن أبي جمرة.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم برواية ورش عن ناف

المصادر والمراجع

- 1_أبو زهرة ،محمد: الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ،دط،دت.
- 2_أبو زيد ،سامي يوسف: الأدب الجاهلي ، دار المسيرة ،ط1، 2011م .
- 3_أبو زيد،سامي يوسف :الأدب العباسي ،دار المسيرة ،ط1، 2011م.
- 4_أبو علي،نبيل، نقد النثر، الهيئة المصرية العامة، دط، 1993م.
- 5_ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع،بيروت ،لبنان ،ط1، 2004م.
- 6_ابن منظور: لسان العرب ،دار الحياء التراث العربي ،دط ،دت .
- 7_بطرس،انطونيوس :الأدب تعريفه ،أنواعه مذاهبه،المؤسسة الحديثة،لبنان،دط،2005م.
- 8_البكور ،حسن فالح وآخرون:فن الكتابة وإشكال التعبير ،دار جرير للنشر والتوزيع ،ط1 2014م .
- 9_التوات ،طاهر :أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع الثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت.
- 10-التوحيدي ،أبو حيان: الامتناع والموانسة ،مكتبة المشكاة ،دط ،دط .
- 11_الجاحظ :البيان والتبيين ، ج2،تح :عبد السلام محمد هارون ،مكتبة خفاجي ،القاهرة مصر ،ط7، 1995م .

- 12_ الحبيلي سجيح ،الحسين ،قصي :الفنون الأدبية في العصر الأموي ،دار ومكتبة الهلال ،بيروت، دار البحار ،بيروت ، ط1 ، 2005م .
- 13_ الخليل ،سحر :مختارات في النثر العربي، دار البداية ،عمان ، ط1 ، 2011م.
- 14_ رجب،سوسن :النثر العربي ،جمهورية مصر العربية ،دط،دت .
- 15_ زاهد، فهد، خليل ،صالح، محمد:الكتابة العربية وفنونها دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، ط1 ، 2015م.
- 16_ سليم ،محمود رزق:الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث ،مطابع الكتاب العربي بمصر ، دط، دت.
- 17_ شلبي، عبد الجليل عبده: الخطابة وإعداد الخطيب، دط ،دت.
- 18_ الصمادي، إبراهيم خليل امتتان :فن الكتابة والتعبير ،دار المسيرة للنشر والتوزيع،دط 2000م.
- 19_ ضيف، شوقي :الأدب في موكب الحضارة، دط ،القاهرة 1968م،مصر،دت.
- 20_ ضيف شوقي :العصر الجاهلي ،دار المعارف ،ط1،مصر ،دت.
- 21_ ضيف، شوقي :العصر الإسلامي ،دار المعارف ط6 ،القاهرة _مصر، دت.
- 22_ ضيف ،شوقي: الفن ومذاهبه في النثر العربي ،دار المعارف ،مصر ،ط5،دت.
- 23_ العبد، عبد الحكيم :تاريخ الأدب العربي ،مركز اللغات والترجمة ،ط1.
- 24_ عتيق ،عبد العزيز :في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت دط، 1972 م.

- 25_ عروة ،عمر:النثر الفني القديم ابرز فنونه وإعلامه،دار القصبه، دط،دت.
- 26_ عطية ،محمد هاشم :الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ،مطبعة مصطفى دط، دت.
- 27_ علي ،بن محمد :النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله ،ج2،دار الغرب الإسلامي ،ط1994،م1.
- 28_ عيسى، فوزي سعد:الترسل في القرن الثالث الهجري ،دار المعرفة الجامعية،دط 1991م.
- 29_ فروج،محمد :تاريخ الأدب العربي ،ج5،دار العلم الملايين ،دط ،دت.
- 30_ فروخ ،عمر تاريخ الأدب العربي ،دار العلم الملايين، ط4 ،بيروت، لبنان،1981م .
- 31_ قاسم ،رياض زكي :تقنيات التعبير العربي ،دار المعرفة ،بيروت، لبنان،ط2000،م1.
- 32_ قدامة ،بن جعفر :نقد النثر ،طه حسين ،دار الكتب المصرية ،دط،دت.
- 33_ قط ،مصطفى البشير ،مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم ،ديوان المطبوعات الجامعية ،دط ،دت.
- 34_ القلقشندي :صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،ج8،دار الكتب المصرية ،القاهرة، 1992م.
- 35_ القيسي ،فايز عبد النبي فلاح :أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، 1989م.
- 36_ محفوظ ،علي :فن الخطابة وإعداد الخطيب ،دار الاعتصام ،مصر ،دط،دت.

37_المقداد، محمود: تاريخ الترسل النثري عند العرفي الجاهلية، دار الفكر، ط1، دمشق
_سوريا، 1993م.

38_نصار حسين: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة
ط2، 2002، 1م.

الرسائل الجامعية والمجالات:

1_الطبوني، خالد: الرسائل النثرية الشخصية في العصر العباسي، مجلة جامعية، دمشق
المجلد 25، العدد الأول + الثاني 2009م.

2_عزام، حذيفة عبد الله: الوصايا في الأدب الأندلسي، رسالة للحصول على درجة
الماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007م.

3_فخري، رشا: فن الرسائل في العصر المملوكي، رسالة للحصول على درجة الماجستير
في الأدب والنقد، 2014م.

4_عطية الله، أسماء عبد الرؤوف: الرسائل في العصر العباسي أنواعها وخصائصها الفنية
، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009م.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وتقدير

مقدمة أ.

المدخل :النثر عند العرب

1_ مفهوم النثر 04.

2_ أقوال الكتاب القدامى حول النثر 05.

الفصل الأول : _النثر في عصر الموحدين

اولا:الخطابة..... 11.

ثانيا :الوصايا..... 16.

ثالثا:المقالة 20.

رابعا :القصة..... 23.

خامسا:المقامة..... 27.

سادسا :الترسل..... 29.

2_الترسل في عصر الموحدين :

_تعريف الترسل..... 32.

_أنواع الترسل 33.

37.....مكانة الترسل

الفصل الثاني: الترسل عند ابن عطية

.....مواضيع الترسل عند ابن عطية

45.....الرسائل السياسية

45.....الرسائل الدينية

56.....الرسائل الاخوانية

65.....رسائل العتاب

70.....خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

الملخص

الملخص:

تأتي هذه الدراسة ضمن الدراسات النظرية فقد قمت بدراسة فن الترسل عند ابن عطية وقد اشتملت هذه الدراسة مقدمة ومدخل وفصلين وملحق وخاتمة ففي المدخل "النثر عند العرب" تناولت فيه تعريف النثر وأقوال الكتاب القدامى حول النثر أما الفصل الأول فقد قسمته إلى قسمين: القسم الأول: النثر في عصر الموحدين، فتناولت فيه بعض الفنون النظرية من خطابة ووصايا والمقالة والمقامة والقصة وغيرها، أما القسم الثاني "الترسل في عصر الموحدين" فتناولت فيه تعريف الترسل وأنواعه ومكانته وبعد ذلك انتقلت إلى الفصل الثاني "الترسل عند ابن عطية" فتطرقت فيه إلى مواضيع الترسل عند ابن عطية فذكرت الرسائل السياسية والدينية والاخوانية ورسائل العتاب أما الملحق فتناولت فيه حياة ابن عطية وأنهيت البحث بخاتمة أجملت فيها نتائج البحث وأهم الملاحظات معتمدة في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي.

Résumé :

Cette étude intervient dans le cadre des études en prose ont j'étudié l'art Altersl Ibn Attia Cette étude comprenait l'introduction à l'entrée et deux chapitres et une extension et une conclusion dans « l'entrée en prose aux Arabes », qui traite de la définition de la prose et les paroles des anciens écrivains sur la prose Le premier chapitre a été divisé en deux sections: Section I: prose à l'époque de la unitarienne, Vtnolt que certains petits arts de la rhétorique et les commandements de l'article et mis en place l'histoire et d'autres La deuxième section « Altersl à l'époque de la unitarienne » Vtnolt la Altersl définition, types et état, puis déplacé vers le deuxième chapitre « Altersl Ibn Attia », elle a traité les sujets Altersl Ibn Attia indiqué messages politiques et religieux et les Frères et les lettres exhortation L'extension Vtnolt la vie d'Ibn Attia fini conclusion de recherche décrit dans lequel les résultats de la recherche et les observations les plus importantes sont prises en charge sur l'approche descriptive et analytique